

## عبد الرحمن بن عبد الستار:

الشاعر الإسلامي الوجداني عبد الرحمن بن عبد الستار الشهير برحمان بابا أكثر شعراء الأفغان شهرة وقبولاً، وأكثرهم تقديراً واحتراماً، ليس في الأفغان شخص لا يعرف عبد الرحمن الشاعر الروحي المحبوب، ولا يطرب لشعره.. يقوم الخطباء والدعاة فوق المنابر بتقديم أبيات شعره كمواعظ ونصائح دينية مؤثرة، والنساء يستشهدن بأبيات شعره عند تقديم نصحهن للشباب والشابات، ويستشهد الشيوخ والأعيان أثناء مؤتمرات المصالحة بشعره.. وشعره ينبوع فياض للمعاني والمشاعر الروحية التي يبحث عنها أهل الزهد، والمعرفة، والعرفان، كما أنه مصدر من مصادر المبادئ السياسية والمفاهيم القومية التي يبحث عنها رجال السياسة، وزعماء القبائل وأعيانها في الديار الأفغانية، ويتغنى الشباب بقصائده التي فيها أسرار ورموز ومعان لكل طائفة من طوائف الأفغان المتعددة من الروحيين، والسالكين، والبسطاء، والسذج، والمثقفين، والعباقرة، والكتاب، والمصنفين، والأثرياء، والفقراء، والدرائش، الذين يحاولون رسم الطريق في دروب الحياة المتشعبة للوصول إلى معان للحياة، لأنهم يرون وراء كل كلمة من شعره مجهولاً يستحق الاكتشاف، ويرون في عباب كل أنشودة سرا يمكنهم من العثور على أسرار الحياة ورموزها. وفي رحلتهم هذه بين صفحات الديوان وسطوره وكلماته يصلون إلى مطالب جميلة مطربة، وإلى معان رائعة، وإلى أثر خالد فسيح، فيحسون بحالة من النشوة والوعي والعشق الساحر، لم يكونوا

ليحسوا بها من قبل، فتتحرك فى قلوبهم ووجداناتهم وضمائرهم أشواق الإنسانية، ومشاعر الفطرة الآدمية فى صفاء وشوق ووثام، إن الكل يحترم شخصيته، ويقدر شعره، وهو عزيز مجلل فى نظر الجميع، وهو شاعر الأفغان الموهوب، وبلبلهم المغرد المطبوع، ومرشدهم المتبوع<sup>(١)</sup>

### مولده: (٢)

ولد عبد الرحمن بابا بن عبد الستار على الأرجح سنة ١٠٤٢هـ / ١٠٠١هـ ش / ١٦٢٢م فى بلدة "بهادر كلى - قرية بهادر" ونشأ وترعرع فى بلدة "هزار خانى - ألف بيت" وتوفى بها سنة ١١٢٨هـ / ١٠٨٧هـ ش / ١٧٠٨م<sup>(٣)</sup>. وتم دفنه فى المقبرة التاريخية الشهيرة التى تضم عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء والملوك والقواد المشهورين، والشخصيات التاريخية

(١) مجلة البشتو عدد أكتوبر ١٩٨٧م، أكاديمية البشتو، جامعة پشاور، مقال بقلم الأستاذ سيد تقويم الحق كاكّا خيل، ومقدمة ديوان عبد الرحمن ٣٢، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش / ١٩٧٧م.

(٢) عبد الحى حبيبي: پشتانه شعراء ١: ١٩٣، ومير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ١٣ مقدمة عبد الحلیم أثر، وديوان عبد الرحمن بابا ٥ - ٩ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، ومجلة البشتو عدد أكتوبر ١٩٨٧م، وديوان عبد الرحمن بابا ٦ - ١٣ مقدمة سيد رسول رسا، وديوان عبد الرحمن بابا ٣٣ - ٣٥ مقدمة مولانا عبد القادر.

(٣) محمد آصف صميم: فهرس أعلام ديوان عبد الرحمن بابا ١٤ المقدمة، ومقدمة ديوان رحمان بابا ٣٥، كابل ١٣٥٦هـ ش / ١٩٧٧م.

الأخرى<sup>(١)</sup> فى التاريخ الأفغانى. وقد رثاه تلميذه الشاعر محمد يونس خان بهذه المقطوعة الشعرية<sup>(٢)</sup>:

منذ أن ظهر الفراق والهجران مع الحسب  
فإن أملى أصبح علامة ألم فى قلبى  
إن مجلس الأحياب الطيبين فصل الربيع  
حين هاجمه الفراق أصبح فصل الخريف  
فالذى كان فى التقدير والنفاة درر من درر البحر  
فقد أصبحت المقبرة الآن صدف لتلك الدرر  
والذى أشرق كالشمس فى مشرق المودة  
فقد أغرب واختفى فى مغرب الفراق والهجران  
وبما أن رياح الفراق والتباعد تهب فى العالم هائجة  
فقد أصبح شكلى خوفا من ذلك كشجر الصفصاف المهتز  
كيف وبأية وسيلة يمكن فك قفل صمته وفتحاه ؟  
حين حبس الموت مفتاح لسانه وبيانه فى الداخل  
من الرحمن نال عبد الرحمن فيضا وفيرا وكرما  
حيث انتقل من هذه الدار واستقر ضيفا فى الدار الجديدة

(١) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ٧٠، الطبعة الثالثة، يشارو ١٩٨٤م.

(٢) حبيبي: پستانه شعراء ١: ٢٠٣، ومقدمة ديوان عبد الرحمن بابا ٢٧ - ٢٨ تحقيق لفييف

من علماء الأفغان.

إن الموت يجعل من كريمة الكلم الطيب بخيالا  
بجيث لا يرغب قلبه فى كلام، بل يصعب عليه ذلك  
من كانت شهرته طيبة فى الملك (البلاد) فهو ليس بميت  
ماذا حدث؟ إن كان يعد فى عداد الموتى ويحسب  
فقد نال شعره بالأفغانية صيتا وشهرة  
فداع واشتهر حتى عرفته إيران وتوران  
من الذى سيقوم بإنشاد شعر عذب مثله يا يونس  
حين صمت عبد الرحمن، وانقطع عن إنشائه بالموت

### نسبه:

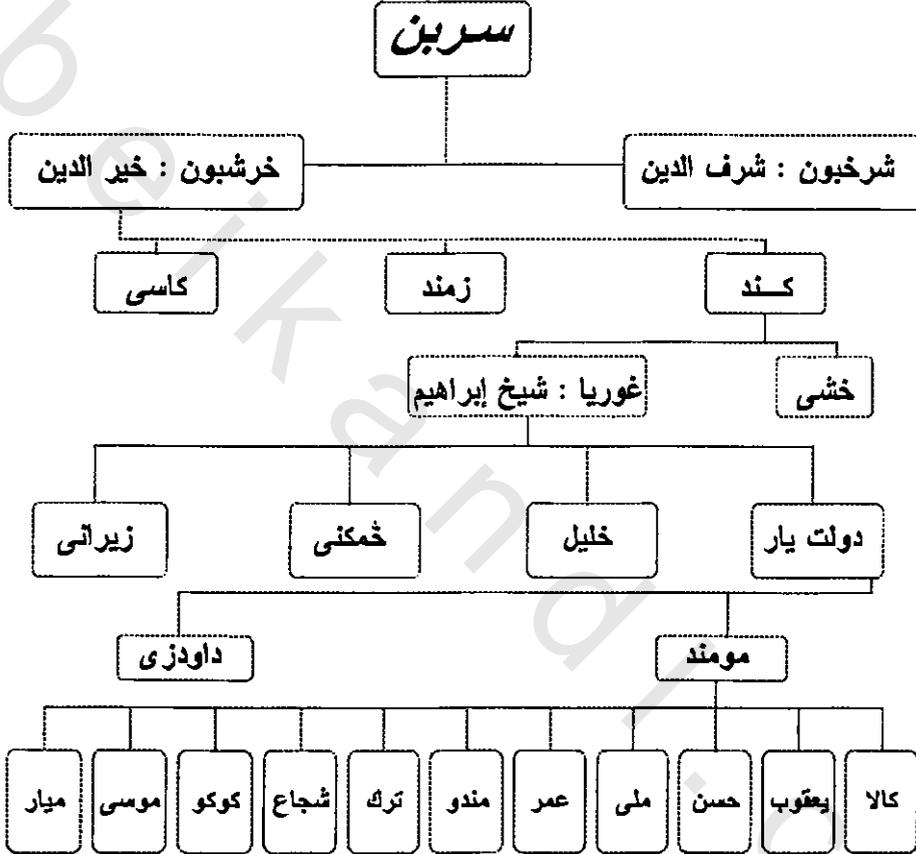
يرجع بنسبه إلى قبيلة مومند (مهمند) الأفغانية الشهيرة التى كانت شوكة  
فى جنب الإنجليز مدة وجودهم فى الهند، كما كانت شوكة فى جنب المغول أثناء  
حكمهم فى الهند قبل المستعمرين الإنجليز. فعبد الرحمن حسب نظام العشيرة  
والقبيلة الدقيق بين الطوائف والقبائل والشعوب الأفغانية منذ أقدم العصور: إبراهيم  
خيلى، ثم دويزى، ثم مومندى، ثم غوريا خيلى، ثم سربنى<sup>(١)</sup> فى القمة.  
وسربن بن قيس عبد الرشيد هذا هو الجد الأعلى لمجموعة كبيرة من القبائل  
الأفغانية، يبلغ عددها إلى ١٠٥ (مائة وخمس) قبائل<sup>(٢)</sup>.

(١) ديوان عيد الرحمن ٢ - ٤ تحقيق لقيف من علماء الأفغان، كابل ١٣٥٦هـ / ش / ١٩٧٧م.

(٢) سيد بهادر شاه ظفر كاكَا خيل: پشْتانِه د تاريخ په رنا كى ١٢٦٥ وما بعدها، پشاور

١٩٦٥م / ١٣٨٤هـ

وقد ذكره عدد من الشعراء الأفغان منسوباً إلى سربن، وغوريا خليل، ومومند، ودريزي، من أمثال خوشال خان، ومير أحمد شاه رضواني، وعبد القادر خان ختك، وعبد العظيم رانيزي السواتي، ونجيب، وملا خايسته خان وغيرهم.



هذا رسم يوضح شجرة نسب عبد الرحمن من مومند إلى سربن

نقلا عن ديوان عبد الرحمن بابا - تحقيق لقيف من علماء الأفغان

قبائل مومند التي ينتمى إليها عبد الرحمن قد اشتركت في حروب التحرير التي خاضها الزعيم الشاعر خوشال خان ختك ضد المغول، ومن أشهر تلك المعارك معركة "لندي كوتل" في وادي خيبر التي اشتركت فيها كل من القبائل الصافية والمومندية معا في سنة ١٦٧٢م وألحقت الهزيمة بالجيش المغولي، مات فيها أربعون ألفا من جيش أورنلوك زيب، وكان لكل من القائد أيمل خان (المومندي)<sup>(١)</sup> ودريا خان الأفريدي دررا بارزا في تنظيم المعركة وإحراق الهزيمة بالمعتدين. والمعركة الثانية التي انتصرت فيها قبائل مومند هي معركة "كنداب" في سنة ١٦٧٣م، أما المعركة الثالثة فكانت في ١٦٧٤م في "خايخ" وفي هاتين المعركتين انتصرت القبائل المومندية وألحقت الهزيمة بجيش أورنلوك زيب المغولي<sup>(٢)</sup> الذي لم يفكر بعد ذلك في خوض معارك ضد القبائل الأفغانية، وإنما اتبع في ذلك سياسة "فرق تسد" في إخضاع القبائل التي لم يتمكن من إخضاعها أيضا.

وقد جاء ذكر هذه المعارك والانتصارات التي حققتها القبائل الأفغانية في كل المصادر الأدبية، وللزعيم الشاعر خوشال خان ختك قصيدة رجزية يتغنى فيها بهذه الانتصارات للقبائل المومندية، وقد بدأها بهذا البيت من الشعر<sup>(٣)</sup>:

من أين أقبل هذا الربيع مرة أخرى  
وجعل من كل أنحاء الوطن حديقة واحدة

---

(١) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ٧٧، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.

(٢) السير أولف كيرو: پنهان ٣٢٤ - ٣٢٥ الترجمة الأردنية، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.

(٣) كليات خوش حال خان ٢٣، پشاور، سنة .... ؟

إلا أن عبد الرحمن لا يذكر هذه البطولات التى حققها قومه من قبائل مومند التى ينتمى إليها.. هل كان صغيراً؟ أم أن الشعر الذى أنشده فيه قد ضاع، كما ضاع كثير من درر الأدب الأفغانى؟

على أننا لا نعلم عن تاريخ أسرته شيئاً يذكر، والمصادر التى تتحدث عن تاريخه وتاريخ أسرته قليلة شحيحة. وهو يشبه فى ذلك كلا من الشاعر الإغريقى الملحمى الضريير هوميرس صاحب الإلياذة، والشاعر الفارسى الغنائى العفيف فى وصف مشاهد الحب حافظ شيرازى (شمس الدين محمد) والشاعر المسرحى الإنجليزى وليم شكسبير<sup>(١)</sup>.

وعبد الرحمن فى ذلك كأبى الطيب المتنبى الذى انحدر من أصل عربى من أهل الكوفة فملاً الدنيا وشغل الناس، وهم لا يعرفون عن هذا الرجل إلا قليلاً، ولا يعرفون من أمر جده قليلاً ولا كثيراً. كذلك يحدثنا التاريخ بأن أبا جرير لم يكن فى التاريخ شيئاً مذكوراً بينما كان جرير نفسه من أعظم الشعراء فى عصره، وملاً الأدب وأعمره بشعره<sup>(٢)</sup>. ويونس أمره شاعر تركى شهير، ولا يعلم الأتراك عن تاريخه شيئاً<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ديوان عبد الرحمن بابا ١٢ - ١٣ مقدمة سيد رسول رسا، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ،

وديوان عبد الرحمن بابا ١٩ - ٢٠ مقدمة مولانا عبد القادر، الطبعة الثانية، پشاور.

(٢) طه حسين: مع المتنبى ١٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦م

(٣) يونس أمره: أشعاره، المقدمة، الدار العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩١م

كل ما يمكن قوله بالنسبة لأسرته أن أسرته كانت كبيرة العدد واسعة الانتشار كما يبدو ذلك من بعض شعره<sup>(١)</sup>، وأن ابن أخته حميد كمل كان شاعرا من سكان قرية "پلوسو" كما يقول ذلك المستشرق الفرنسي جيمس دارمستتر<sup>(٢)</sup>، وكان له ابن لم يبق من ذريته أحد كما يقول ذلك المستشرق الإنجليزي ميجر راوتى<sup>(٣)</sup>، وقيل إن عجيز خان الذى ذكره عبد الرحمن فى أحد أبيات شعره كان شقيقه وقيل ابن عمه، وقيل من أقاربه، وقيل إنه كان من أثرياء بلده<sup>(٤)</sup>.

وأما حالته الاقتصادية والاجتماعية فى عشيرته فإنها كانت متوسطة، لم يكن من الأثرياء ولا من المعدومين، ويمكن القول بأنه كان أقرب إلى طائفة المزارعين الذين يملكون قطعة أرض زراعية يزرعونها ويعيشون من محصولها<sup>(٥)</sup>..

إن الذين يزرعون أرضهم بالأمطار والسيول  
فإن عمرهم كله عذاب ومشقة<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان عبد الرحمن بابا ١٧، تحقيق لقيف من علماء الأفغان، كابل ١٣٥٦هـ/ش/ ١٩٧٧م

(٢) جيمس دارمستتر: د پښتو نځوا د شعرهار و بهار ١٤٠، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ/ش

(٣) ديوان عبد الرحمن ٢١ - ٢٢ مقدمة مولانا عبد القادر، پشاور، الطبعة الثانية ١٩٨٧م

(٤) ديوان عبد الرحمن ١٥ - ١٦ تحقيق لقيف من علماء الأفغان كابل ١٣٥٦هـ/ش/ ١٩٧٧م

(٥) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ٨٠ - ٨١، ومقدمة ديوان عبد الرحمن

صفحة ١٧ تحقيق لقيف من علماء الأفغان

(٦) ديوان عبد الرحمن ١٠٧ مقدمة سيد رسول رسا، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

## سيرته: (١)

أنا عبد الرحمن أطلب الحماية من ذلك العلم  
الذى لا يمت إلى الدين والعقيدة بصلة

تلقى عبد الرحمن ما يتلقاه فتيان أهل زمانه من علوم على يد علماء عصره..  
درس القرآن الكريم والعلوم الدينية الأولية فى "بهادر كلى" مسقط رأسه، ثم  
ارتحل كعادة طلاب العلم فى عصره إلى "سلطان پوره" ودرس بعض العلوم  
الإسلامية والعربية، كما أقام ردحا من الزمن فى كوهاپ، ودرس مزيدا من العلوم  
الإسلامية والأدبية، ثم عاد إلى مسكنه فى "هزار خانى" ولزم منزله، وعاش فيه  
على طريقة الفلاسفة المتقشفين.

وبعد أن درس العلوم الرائجة فى عصره اعتزل الناس، وانقطع إلى عبادة  
الله، وقد ظهر فيه منذ أوائل شبابه ميل إلى التدين والتلذذ بالتجرد الروحى، فلما  
مر ببعض مراحل حياته العلمية عاد إلى العبادة والتجريد، والسياسة الروحية،  
ففضحت شاعريته الوجدانية، وكملت مواهبه الروحية والمعنوية.

يبدو أنه قرأ بإمعان كثيرا من دواوين الشعراء الأفغان من أمثال ملا أرزانى  
وميرزا أنصارى ودولت لوانى وخوش حال خان وغيرهم ممن سبقوه فى قول  
الشعر، كما يبدو أنه اطلع على دواوين شعراء الفارسية من أمثال سنائى غزنوى  
وحافظ شيرازى وعبد القادر بيدل وغيرهم، وقد تأثر بها وأخذ بعضها من معانيهم،

---

(١) ديوان عبد الرحمن ١٢ - ١٣ مقدمة سيد رسول رسا، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ،  
وديوان عبد الرحمن ١٩ - ٢٠ مقدمة مولانا عبد القادر، الطبعة الثانية، پشاور ١٩٨٧م

وهو يضع شعره وشعر سنائي غزنوي في منزلة واحدة من الجودة وقوة التعبير، حيث يقول<sup>(١)</sup>:

أنشد عبد الرحمن الشعر باللغة الأفغانية  
وأنشد سنائي الشعر باللغة الفارسية<sup>(٢)</sup>

الثبات على الإسلام، والاستقامة، والزهد في الدنيا، وعدم التظاهر في عبادته، وبقية أعماله من المبادئ التي سار عليها عبد الرحمن بابا ولم يرض بغير الإسلام دينا وعقيدة وسلوكا، ويدعو الله أن تكون عبادة الزهد في الدنيا خالصة لوجهه بعيدة عن الرياء والتظاهر، وهذا البيت من شعره يدل على شيء من زهده واستنكاره للرياء:

أنا عبد الرحمن أرغب في الحماية من زهد فيه رياء  
إن الزهد الذي يحتوي على الرياء عذاب وعقاب<sup>(٣)</sup>

كان عبد الرحمن من الدعاة الهداة، ومن العلماء الحماة، يرفع صوته بالدعوة إلى الله ليجعل الديار الأفغانية معطرة بأبيات شعره الذي يتحوى على مبادئ الإسلام، وتعاليمه السامية، وقد أدرك جيدا ما للشعر من تأثير على نفوس الأفغان، حيث ينشر بينهم من خلال روائع شعره القيم الإسلامية الرفيعة، والمبادئ

---

(١) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ١٣ - ١٥، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م،

ومحمد نواز طائر: روهي أدب ٣٠٦ - ٣١٥ الطبعة الثانية، پشاور ١٩٨٦م

(٢) د رحمان بابا ديوان ١٣، تحقيق لفييف من علماء الأفغان، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م

(٣) د رحمان بابا ديوان ٣٨، طبعة پشتو تولنه، كابل. وديوان عبد الرحمن بابا ١٨٠، طبعة

پشتو أكيديمي، پشاور يونيورستي.

القويمة، والأخلاق المتينة، والأهداف السامية التي وضعها الإسلام، وشرحها نبي الإسلام:

رباه، شعري الذى يجعل بلاد الأفغان معطرة  
صير كل شطر منه ضفيرة من ضفائر الحسان<sup>(١)</sup>

يجمع المؤرخون على أنه كان ورعا وقورا طيب الأقوال والأفعال، ومن روح قصائده الشعرية يتجلى له أربع مزايا بارزة:

١- كان شديد التأثر بالإبداع الإلهي في الطبيعة والكون، وأثر ذلك واضح جلى في شعره الوجداني، حيث أن في ديوانه مواطن كثيرة يذكر فيها مناجاته لله، نذكر منها هذين البيتين من شعره:

رباه، إننى عاشق نورك من الأزل  
ولم أبدأ ذلك ابتداء من اليوم  
لومات عبد الرحمن شهيدا بسيف عشقك  
فإن عبد الرحمن قد أدى المسؤولية الملقاة على عاتقه<sup>(٢)</sup>

٢- ميله الشديد إلى العزلة والتقشف، والبعد عن ضجيج الناس ومتاعبهم، وقد عبر عن ذلك في كثير من أبيات شعره، منها هذان البيتان:

ما رأيت الملك الأسفل ولا الملك الأعلى  
ولا عندي خير عن اليمين، ولا عن اليسار

---

(١) درحمان بابا ديوان ٢٢٢، طبعة پشتو تولنه، كابل، سنة ١٩٧٧م  
(٢) درحمان بابا ديوان ١٥ - ١٦، طبعة پشتو تولنه، كابل سنة ١٩٧٧م

الماء والطعام يصلننى كالرحى فى مكانى  
فى منزلى يتم سكونى، وكذلك حركتى<sup>(١)</sup>

٣- كرم سجيته وحسن خلقه، فقد أجمع الكل على نعته بسمو الخلق من رقة وإيناس، وكرم وترفع عن حطام الدنيا، ولم يكن من الذين يصطنعون التدين طمعا فى الحصول على المال أو شرف المقام، بل كان التدين طبعاً فيه، يرفعه عن الشهوات والأطماع المعيبة، لذلك كان يترفع عن المدح، وكذلك عن الهجاء، ومن شعره فى ذلك قوله:

إننى أجد فن المدح وفن الهجاء إجادة جيدة  
إلا أننى لا أشعر بالرضا والسرور. تمثل هذه الأمور  
ليس لى إلا العشق سواء كان ذلك عيى أو مدحى  
لقد قمت بقطع العلاقات الأخرى عن الآخرين<sup>(٢)</sup>

٤- شدة المؤاخذة، كان شديد المؤاخذة لنفسه، كثير البكاء والاستغفار والاستغاثة، وبالاختصار كان عبد الرحمن بابا شديد الإحساس والتأثر، كثير التأمل، ورعا تقيا، محبا، حسن الصحبة، كثير الخير، وكثير الصيام، وكثير الندامة والأسف. فلا تستغرب عن إكرام الناس له ولشعره، إذ كان أولا من العلماء، وكان ثانيا من الشعراء، وكان ثالثا من الزهاد والأتقياء، فهو صاحب منزلة قوامها الدين والعلم والزهد، والوجدان بالإضافة إلى منزلته فى الشعر والأدب.

(١) د رحمان بابا ديوان ٥٣، طبعة پشتو تولنه، كابل سنة ١٩٧٧م

(٢) د رحمان بابا ديوان ٤٩، طبعة پشتو تولنه، كابل سنة ١٩٧٧م

ولا عجب أن يكون عبد الرحمن أكثر شعراء الأفغان قبولاً، وأكثرهم تقديراً، وأن يحتل تلك المكانة المرموقة في عالم الأفغان. ولا عجب أن ينال كل هذه العناية من علماء الأمة الأفغانية ونقادها، لأنه أيقظ همم أفراد هذه الأمة، وهى خير أمة أخرجت للقيام بخدمة هذا الدين وقيمه السامية، ولأنه هو وغيره من شعراء طبقته قد أثاروا حركة فكرية عند الأفغان انشغلت بها وبشعره طوائف كثيرة من الأدباء والنقاد، ولا يزال محل دراسة الباحثين فى الدراسات الشعرية والأدبية.

إن فى أعماق وجدان عبد الرحمن بابا ما يمكن أن نطلق عليه تقابلاً منغماً بين الهدوء والثورة، بين السكون والحركة، بين الإيجاب والسلب، بين الأخذ والعطاء، بين التقبل والرفض، بين السكوت والتعبير.. إن أعماق وجدان عبد الرحمن كالبحر الذى يضم فى اللحظة الواحدة هدوء حالماً، وتمخضاً مخيفاً.. كالسيمفونية التى تحتوى على نغمتين متناقضتين، لكنهما فى المدى البعيد متوافقتان موحدتان.. كالأضواء والظلال، والعتمة والنور. وفى أعماق وجدانه نشأت رسالته.. رسالة الحب والود، رسالة المحبة والمودة.. حبه لله ولرسوله، حبه لنفسه، حبه لقومه، محبته لبنى البشر، ومودته للكون والكائنات، إن حبه فى أعماق وجدانه عالمى فى شكله ومضمونه. إذا كان كثير من الشعراء فى البلاد الإسلامية قد وجه شعره لخدمة أهداف خاصة، فإن عبد الرحمن بن عبد الستار الشهير ببابا الأفغان قد وضع شعره وفكره ووجدانه فى أعماقه لخدمة المجتمع الإنسانى عامة، ولخدمة الإسلام بخاصة.

## أساتذة عبد الرحمن وشيوخه: (١)

- ١- مولانا عبد الحق المتنى، فقد درس على يديه القرآن الكريم، ومبادئ بعض العلوم الإسلامية.
- ٢- محمد يوسف اليوسفزى، وقد درس على يديه العلوم الإسلامية والعربية.
- ٣- الشيخ محمد صديق الهاورى، ودرس على يديه فنون الشعر الأفغانى بالإضافة إلى العلوم الإسلامية والعربية، وكان الشيخ محمد صديق من شعراء الأفغانية.
- ٤- أخوند كريم داد بن أخوند درويزه، وقد تعلم على يديه الطريقة النقشبندية الصوفية.
- ٥- العارف بالله حاجى بهادر (الكوهاتى) الذى كان مرشده فى التصوف والزهد، كما يقول ذلك مير عبد الصمد خان (٢).

## تلاميذ مدرسة عبد الرحمن الشعرية:

عبد الرحمن بن عبد الستار مؤسس مدرسة أدبية مستقلة. ويتميز أسلوبه وأسلوب مدرسته بأنه جامع شامل، يمثل الفطرة الإنسانية فى أحلى صورها، شعره

---

(١) محمد هوتك بن داود: بته خزانة ٩٤ - ٩٨، الطبعة الثانية، كابل ١٣٣٩هـ / ش / ١٩٦٠م، وديوان عبد الرحمن بابا ٩ - ١٢، أكاديمية پشتو، كابل ١٣٥٦هـ / ش / ١٩٧٧م، ومير

عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ١٣ - ١٥، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م

(٢) شاعر إنسانيت رحمان بابا ٨٠، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م

ينبع من أعماق قلبه، ويعبر عن خواجه وخواطره وأشواقه، ولا يخلو من الأفكار القومية، وفي شعره الخلقى والاجتماعى لا يخرج عن التقاليد الأفغانية، وفي عالم التصوف والعرفان يميل إلى الجانب العملى، وشعره فى العشق يتموج بالمشاعر والجدبات والعواطف الحادة. ومدرسته فضل إضافة بعض الجوانب الأدبية والفنية إلى الأدب الأفغانى، وفيما يلي بعض مزايا مدرسته الأدبية:

١- أسلوب مدرسته الأدبية يرحب بإلهام الروح، ولا يهتم كثيرا بالمادة وتلوئها المادى، وهو فى شعره يحاور عالم الغيب، ويؤمن بقوة على أن ينبوع الفيوضات والتجليات الروحية هو ذلك العالم.. عالم الغيب عالم ما وراء الطبيعة، لا عالم الشهادة..

٢- إن الشاعر فى أسلوبه وأسلوب مدرسته يهرب بعيدا عن المادة وكثافتها الملوثة بالصراعات والتشجنات، وينتقل إلى ذلك المكان الذى كله سلام ووثام، هدوء واطمئنان، لا توجد فيه فوضى هذا العالم المادى وضوضاؤه، وسيئاته ومشاكله التى يجب على الشعراء أن ينقدوها، ولا يلوثوا بها أنفسهم، بل عليهم أن يتبرأوا منها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام..

٣- ولعبد الرحمن ومدرسته الأدبية شخصية شعرية عالية فى أدائه وتصويره وتعبيره الشعرى عن المشاعر والعواطف، وفى تصويره العفيف للعشق، فأسلوبه وأسلوب مدرسته فى كل ذلك مثالى يتميز بالسلاسة والرصانة والسهولة، والبعد عن الإبهام والإيهام والغموض من المزايا الطيبة فى شعره، وفى شعراء مدرسته الشعرية، وهو يختار لشعره ألفاظا وعبارات بسيطة سهلة بعيدة عن التعقيد والالتواء، ويحاول أن يصور فيها الفوائد الروحية والاجتماعية واحترام الإنسان

وإنسانيته، وهذا أحد أسباب قبول شعره بين الطبقات المختلفة من طبقات الأفغان..

٤- وقد صور هو وأتباع مدرسته المتميزة الحنين إلى العشق والحب الإلهي في فنون الغزل، والقصيدة القصيرة، والرباعية والتخميس، وفي غير ذلك من الفنون الشعرية، فقد تناول في هذه الفنون الأربعة العشق والحب، والمحبة والأخلاق والسلوك بكثرة لافتة للنظر، مثيرة للانتباه، وكأنها مدرسة يتعلم فيها تلاميذ مدرسته هذه الموضوعات في تلك الفنون والأقسام القولية في الشعر، وقد ألبسها حلة قشبية من البيان الساحر الأخاذ، والمشرق الفياض.. وبالإضافة إلى ذلك فإن في شعره هيبية العشق الإلهي، وسكينة الزهد، ووقار العلماء..

٥- وفي العشق، والنوبات التواجدية، والتأمل في الجمال تظهر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، وكان يميل في ذلك إلى الواقعية مع قلة الطعام، وقلة المنام، وقلة الكلام، والاعتزال عن الناس، وكان لا يقيد نفسه بالخيال إلا قليلاً أو نادراً، ومهما حاولنا غربلة الأخبار القليلة التي يستنبطونها من شعره عن نقشفه فإننا لا نرى محيصاً عن القول بأن الرجل كان صوفياً، وكان يسلك في ذلك طريقة أهل الورع والزهد، ومقطوعاته الشعرية تنضح بذلك نضحا لا يمكن إنكاره.

٦- إن مدار الحياة وأساسها في نظره هو العشق وصفاءه، والإلهام الإلهي وتجلياته النورانية، وهو يفضل اليقين على العقل، والإيمان على الفلسفة، والأذكار على الأشعار، وأشعاره لا تخرج عن أذكاره. فرجل كشاعرنا عبد الرحمن كثير الخلوة والتأمل، شديد الإحساس والتأثر، كثير الأذكار، كثير الاستغفار، كثير

الخير، لا يستغرب أن تفيض نفسه بقصائد العشق والوجد والهيام، وأن ينال من مواطنيه، ومن تبعهم جميل الذكر والتقدير والإكرام، وأن يستقر في قلوب الناس مدى الأيام، وأن يسلك عدد كبير من الشعراء مسلكه في الشعر، وأسلوبه في التصوير والتعبير. وفيما يلي عدد من تلاميذ مدرسته الشعرية:

#### ١- محمد يونس خان بن نور محمد خان:

من سكان وادي "خير" الشهير، شاعر، ناثر، صاحب ديوان شعر، درس العلوم والفنون الشعرية على يدى عبد الرحمن بن عبد الستار، وأنشد الشعر على منواله وأسلوبه، يتحدى في شعره حتى الزعيم الشاعر خورشال خان ويتعالى عليه كأستاذه في جودة الشعر وإجادته. وكان يشتهر بالإضافة إلى كونه شاعرا وعالما بكرم الضيافة، وحسن الخلق، واستقامته. وله مرثية رثى فيها أستاذه عبد الرحمن بن عبد الستار عند وفاته<sup>(١)</sup>.

قارن بين هذين البيتين من شعر الشاعرين ليتضح لك تأثير الأستاذ في شعر تلميذه حيث يقول عبد الرحمن:

أنا عبد الرحمن سعيد. بمرض العشق إلى حد  
بحيث لا غرض لي في البحث عن الدواء

---

(١) محمد هوتك بن داود خان: بته خزانة (الكنز المكنون) ١١٦، الطبعة الثانية، كابل ١٣٣٩هـ/ ١٩٦٠م. وعبد الحمى حبيبي: پشانه شعراء (الشعراء البشتون) ١: ٢٠٢، كابل ١٣٢٠هـ. وراجع ص ١٩ من هذا الكتاب.

وقد تناول التلميذ محمد يونس خان هذا المعنى نفسه فى هذا البيت من شعره حيث يقول:

إننى سعيد أن أكون مريضا بآلام عشقك أيها الحبيب  
بحيث لا غرض لى أبدا أن أبحث عن الدواء

## ٢- ملا شير محمد الهوتكى: (١)

من مواليد كندهار، عالم فاضل، وشاعر قدير، قضى مدة من عمره فى هرات، وفى بعض المدن الإيرانية، واشتغل بالتدريس والتأليف فى مدينة كندهار مسقط رأسه، من معاصرى الهوتكيين والصفويين. ومن الشعراء الأقدمين فى كندهار، ومن مؤلفاته أسرار العارفين، يتناول فيه العقائد الإسلامية، والفقهاء الإسلامى، وأصول الفقه، منظوم، ومتأثر فى نظمه بمدرسة عبد الرحمن الأدبية. ومن مؤلفاته أيضا "تجويد أفغانى" منظوم أيضا، ونظمه ينتمى إلى نظم هذه المدرسة وإلى نظم مؤسسها عبد الرحمن..

## ٣- صديق (محمد صديق): (٢)

شاعر فياض من شعراء مدرسة عبد الرحمن الأدبية المجهولين، يسير فى الشعر سيره، ويسلك طريقه، ويتبع أسلوبه، ويبدو من شعره أنه كان من الشعراء

---

(١) عبد الحى حبيبي: پشنامه شعراء ١: ٢١٢ - ٢١٥، طبعة كابل ١٣٢٠هـ ش

(٢) عبد الحى حبيبي: پشنامه شعراء ١: ٣٠٨ - ٣٠٩، وديوان رحمان بابا ٩ - ١٥، المقدمة،

أكاديمية الهشتو، كابل ١٣٥٦هـ / ١٩٧٧م

السكرارى فى العشق الإلهى، ومن هنا يرى نفسه فى ذلك أرفع منزلة، وأعظم قدرا من كل ما وسع هذا الكون من مخلوقات وكائنات. إنه شاعر فياض، ويفيض شعره من ينبوعه على منوال عبد الرحمن. وبعض من موضوعاته الشعرية تنظر إلى موضوعات أستاذه عبد الرحمن وفنونه الشعرية.

#### ٤- غفور (عبد الغفور):<sup>(١)</sup>

غفور (عبد الغفور) شاعر آخر من شعراء هذه المدرسة الأدبية، صاحب فكر متجدد، فى ديوانه تشبيهات بسيطة، وعبارات بسيطة رصينة يستخدمها الشاعر للتعبير عن أفكاره وتصويرها وفقا لأسلوب مدرسة عبد الرحمن الفنية درس ديوان عبد الرحمن بدقة متناهية، وتأثر بسحر أسلوبه لا شعوريا، وقد تأثر كذلك بالشعر الدرى وفنونه الشعرية والفنية. يبدو أنه قد اشترك فى المسابقات الشعرية (المشاعرة) التى كان يقيمها كل من خوشال خان وعبد القادر خان.

قارن بين هذين البيتين لكل من الشعارين فى الأدب الأفغانى ليتجلى لك تأثير صاحب هذه المدرسة فى شعر هذا الشاعر. يقول عبد الرحمن:

ليست للعقارب ولا للثعابين جسارة ولا جرأة  
مثل جسارة ضفائرك المنعطفة وجرأة أهدابك السوداء

وقد صور عبد الغفور خان هذا الموضوع فى هذا البيت من شعره:

إن الضفائر المنعطفة، والأهداب المنحينة فتنة  
فانظر تلك الفتنة حين يقوم الحبيب بثنى عمامته أيضا

---

(١) عبد الحى حبيبي: پستانه شعراء ١: ٣١٠ - ٣١٢

## ٥- عبد الرحيم هوتك: (١)

الشاعر عبد الرحيم هوتك ركن من أهم أركان مدرسة عبد الرحمن الأدبية وقد نسج شعره الرصين على منواله فى أسلوب بسيط، وبعيدا عن الغموض والتعقيد، وعذوبة شعره تنظر إلى عذوبة شعر حافظ شيرازى. أصله من كندهار، وقضى حياته فى الغربة بسبب ما تعرضت له مدينة كندهار من التخريب والتدمير على يدى نادر شاه أفشار فى حوالى سنة ١١٥٠هـ. فعاش فى بخارى، وسمرقند. شاعر عالم، درس علوم الفقه والتفسير والصرف والنحو والفلسفة والمنطق، ومن هنا نرى فى شعره المثانة العلمية والرصانة الفنية والقوة اللغوية التى مكنته من أن يكون من أبرز أعضاء هذه المدرسة. والشاعر ينتمى إلى هذه المدرسة أسلوبيا وموضوعا، شكلا ومعنى. ديوانه يتألف من حوالى ستة آلاف بيت على أسلوب مدرسة عبد الرحمن الأدبية.

## ٦- أحمد شاه بابا الأبدالى الدراني: (٢)

أحمد شاه بابا الدراني من شعراء مدرسة عبد الرحمن، الذى كان صاحب التاج فى الملك والأدب، وبطل من أبطال الإسلام، وقائد من قواده الذى دوح الهند وملوكها دفاعا عن المسلمين فيها، وبطل معركة "پانى پت" المعروفة. وحد

(١) عبد الحمى حبيبي ١: ٣٢١

(٢) عبد الحمى حبيبي: پشنامه شعراء ١: ٣٢٩ - ٣٣٧ ومحمد نواز طائر: روهى أدب ٣٨٠ -

تحت رايته كلا من أفغانستان وتوران، وإيران والهند. ويقول أستاذ التاريخ الهندى  
الپروفيسور "كندا سنك" إن أحمد شاه الأبدالى إن لم يكن أكبر وأعظم من نادر  
شاه أفشار فإنه ليس أقل منه فى حال من الأحوال.

شاعر صوفى، فليسوف حكيم، نسج شعره وأنشده على نغمات شعر  
عبد الرحمن، ناضج العقيدة، قوى الإيمان فى الدين والأدب، يتمتع بالإخلاص فى  
الحب، والصدق فى القول، والتفانى فى العمل الإسلامى، وفى الحب لله،  
ولرسوله، ولدينه، والأمة الإسلامية. وديوانه يشتمل على ثلاثة آلاف بيت من  
الشعر الجيد، سار فيه سيرة عبد الرحمن روحا وأسلوبا.

#### ٧- أخوند كندا: (١)

الشاعر "أخوند كندا - العالم الفقير" (لا أعلم إن كان هذا اسمه، أو لقبه؟)  
من شعراء هذه المدرسة، يحب العزلة، ولا يميل إلى الشهرة. شاعر، عالم ومؤلف،  
له مصنف باسم "نافع المسلمين" يتناول فيه مسائل دينية. وفيه عدد من القصائد  
الغزلية سلك فيها مسلك عبد الرحمن فى الشعر والعشق والتصوف، خياله بسيط،  
ولكنه يقترب من الحقيقة والقبول الحسن. وهو يعتبر نفسه قائم مقام عبد الرحمن  
فى الشعر وإنشاده انظر إليه وهو يقول:

إنه قد أقامنى أنا "كندا" مقامه  
عندما ارتحل عبد الرحمن عن هذا العالم

(١) عبد الحى جيبى: پستانه شعراء ١: ٣٥١ - ٣٥٥

## ٨- حافظ ألبورى: (١)

اسمه معظم، ويشتهر بحافظ لحفظه القرآن الكريم، وألبورى لنسبته إلى قرية "ألبورى" وهى قرية صغيرة فى أعالي وادى سوات. وكان معاصرا للإمبراطور أحمد شاه الأبدالى الدرانى الذى حكم أفغانستان من عاصمته كندهار. والحافظ الألبورى من شعراء مدرسة عبد الرحمن الأدبية، نسج شعره على منوالها واختار موضوعاتها الشعرية كالنصائح والمواعظ، وكالعشق الإلهى، والسلوك الخلقى، ولشعره بصفة عامة تأثير جيد فى قلوب السامعين والقارئین. وينقسم ديوانه إلى مباحث التوحيد والرسالة النبوية، والعشق الإلهى، ومواعظ السالكين (أهل السلوك) والعشق المجازى، والنصائح والمواعظ العامة. وهو يشبه عبد الرحمن ومدرسته الأدبية فى كنياته واستعاراته وتشبيهاته، ومحاسنه ومزايه الشعرية الأخرى، كما يشبهه فى أكثر موضوعاته الشعرية.

## ٩- قاسم على أيريدى: (٢)

شاعر صاحب ديوان، أصله من قبائل (أيريدى) فى (تيراه) وولد فى (فرخ آباد) فى الهند، يتبع فى إنشاده أسلوب هذه المدرسة الأدبية، يتحدث فى أشعاره عن العشق الإلهى، والعرفان، والأخلاق، ويشتمل ديوانه على الموضوعات

---

(١) مقدمة ديوان عبد الرحمن ٣٢، كابل ١٣٥٦هـ / ش / ١٩٧٧م وعبد الحى حبيبي پشنامه

شعراء ١: ٣٦١ - ٣٦٧

(٢) مقدمة ديوان عبد الرحمن ٢٩، أكاديمية پشتو، كابل ١٣٥٦هـ / ش / ١٩٧٧م، عبد الحى

حبيبي: پشنامه شعراء ١: ٣٦٧، أكاديمية پشتو، كابل ١٣٢٠هـ ش

الصوفية، وفيه أيضا آلام البعد عن الوطن. ويبدو من بعض أشعاره أنه درس أو قرأ آثار المتقدمين من شعراء الأفغانية. على كل فإنه متأثر بمدرسة عبد الرحمن الفنية وهو أحد أتباعها البارزين. يقول فى قصيدة له ذاكر المتقدمين مادحا نفسه أو شعره:

قد مر زمن عبد الرحمن، وجاء زمنى  
وكذلك دولت، وخوش حال، وميرزا

كان الشاعر "أبريدى" يجيد بالإضافة إلى لغته الأفغانية - العربية، والفارسية، والتركية، والهندية، والإنجليزية. وديوانه الذى يتألف من حوالى خمسة آلاف من الأبيات يفيد ذلك. وديوانه يشتمل على الغزليات، والقصائد، والرباعيات، والمخمسات، أنشدها على طريقة مدرسة عبد الرحمن الأدبية.

#### ١٠ - عبد العظيم سواتى: (١)

إن الشاعر عبد العظيم السواتى الرانيزى من شعراء مدرسة عبد الرحمن الأدبية، موطنه إقليم "سوات" وينتمى إلى قبيلة "الرانيزى" الشهيرة فى القبائل الأفغانية. ولد سنة ١١٦٧هـ فى "سوات" ومات فى حوالى سنة ١٢٥٣هـ. ولد فى سوات وعاش فى قرية "برتكال" بالقرب من مدينة پشاور، وذلك بعد أن قام الأعداء بقتل والده، وطرده هو نفسه من "سوات". عالم، شاعر، صوفى،

---

(١) عبد الحى حبيبي: پستانه شعراء ١: ٣٨٥، ومقدمة ديوان عبد الرحمن ٣٠، كابل

١٣٥٦هـ/ش/١٩٧٧م

سالك، ومرشده فى السلوك والتصوف من وادى "كونر" يسلك  
سلوك عبد الرحمن فى الشعر والعشق الإلهى، والسلوك الخلقى،  
والمواعظ والنصائح. وهو يقلد فى ذلك أستاذ هذه المدرسة الأدبية، انظر إليه حيث  
يقول:

مثل شعر عبد الرحمن بابا المهمندى  
أنشدت شعر هذا الكتاب متأثراً بألم الموت

#### ١١- نجيب (نجيب خان):<sup>(١)</sup>

نجيب شاعر آخر من شعراء الأفغانية أنشد شعره، ونسجه على منوال  
مدرسة عبد الرحمن الأدبية، ويلقبه بأنه رئيس الشعراء الأفغان، وأول  
حلقتهم الشعرية. انظر كيف يعبر عن ذلك ويصوره فى هذا البيت من شعره  
قائلاً:

عبد الرحمن يتصدر حلقة الشعراء  
وأنا آخذ بطرف من شعره  
بما أن شعره لا مثيل له، فإنه يليق  
بعبد الرحمن أن يقول: فتحت العالم بالشعر

---

(١) ديوان عبد الرحمن بابا ٢٩ تحقيق ليف من علماء الأفغان، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م

## ١٢- عيد الغفار هوتك: (١)

من شعراء القرن الثالث عشر، ومن سكان كلات، وهو أيضا من أتباع مدرسة عبد الرحمن الأدبية، ويعتبر نفسه نائبا له فى فن الشعر، انظر إليه حيث يقول:

الشعراء فى الأفغان أكثر من أن يعدوا  
عبد الغفار نائب الشاعر عبد الرحمن

## شعراء آخرون: (٢)

وبالإضافة إلى هؤلاء الشعراء البارزين من أتباع هذه المدرسة الأدبية هناك عدد آخر كبير من نخبة شعراء الأفغانية، قد اتبعوا فى شعرهم وفنونه طريقة هذه المدرسة، وأسلوبها الفنى فى التعبير والتصوير، وفى الموضوعات والمضامين الشعرية، والأساليب الجمالية والبلاغية. أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: شهنواز خان، ومطيع الله پير خيل، وميان نعيم المتيزى، وملا جمعة الباركرى، وعبد النبى البيتنى، وأحمدى صاحب زاده، وقنر على خان أهرىدى، ونياز محمد، وابن يمىن، وباز محمد بنگش، وعبد الرسول ماشورى، وعجب خان، وفضل شاه، وكل محمد كاكور، وشيخ نامدار، وعبد الوهاب أسكرى، وغيرهم (٣) من ذرى

(١) ديوان عبد الرحمن بابا ٣٢، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، كابل ١٩٧٧م

(٢) عبد الحى حبيبي: پشتانه شعراء ١: ٢١٢ - ٢١٥، أكاديمية پهشتو، كابل ١٣٢٠هـ ش

(٣) عبد الحى حبيبي: پشتانه شعراء ١: ٣٢، ومقدمة ديوان عبد الرحمن ٣٤، كابل

١٣٥٦هـ ش / ١٩٧٧م

اتجاهات أدبية وشعرية، صبوا أفكارهم في قوالب شعرية وفقا للمنهج الشعرى الذى وضعه عبد الرحمن وبنى عليه مدرسته فى قول الشعر..

## ديوانه:

ترك لنا عبد الرحمن ديوانا بلغ من اهتمام الأفغان به إلى درجة التقديس، حتى يقول الرجل الصالح عبد الغفور بن عبد الواحد: لو جازت الصلاة بغير الآيات القرآنية، لقرأت فيها منظومات عبد الرحمن بابا الشعرية<sup>(١)</sup>. إن الأفغان ينظرون إلى ديوانه نظرة تقديس وتقدير واحترام، تجرى أبيات شعره على ألسنة كل الطبقات الخاصة والعامة كالحكم والأمثال السائرة. ومن مشاهد اهتمام الأفغان بهذا الديوان أنه كان عند المستشرق الإنجليزي "ميجر راورتى" ٦٠ نسخة خطية مختلفة، كتبت فى أماكن وأزمنة مختلفة، وكان بعضها قد رتب بعد وفاته بسنوات قليلة<sup>(٢)</sup>.

يحتوى ديوانه على (٤١٥١) بيتا من الشعر، مع ملاحظة وجود بعض الزيادات والتكرار فى بعض القصائد والمقطوعات والمنظومات التى ظهرت فى الطبعة الأخيرة للمجمع اللغوى الأفغانى سنة ١٩٧٧م. والمقطوعات التى ظهرت فى الطبعة الثانية التى نشرتها أكاديمية البشتو سنة ١٩٨٧م، وفى الطبعة الأولى التى نشرتها دار الكتب الجامعية فى پشاور سنة ١٩٧٦م/١٣٩٦هـ. ويصبح عدد أبياته بعد إضافة الزيادات ٤٢٢٢ بيتا.

(١) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ٦، مقدمة عبد الحليم أثر

(٢) ديوان عبد الرحمن بابا ٨ - ٩، مقدمة سيد رسول رسا، طبعة پشاور

ديوانه مدون في قسمين (دفترين) لا فرق بينهما من ناحية النضج الفنى، والخيال الأدبى، والرونق الشعرى، ومن المستحيل معرفة تاريخ تدوين الأول منهما عن الثانى، والديوان يعتمد أساسا على "الجمالية البسيطة" فى الأداء والتعبير والتصوير لكى يودى وظيفته فى الحدود القصوى التى يريدها عبد الرحمن، لأنه بمثابة مدرسة يتوجب أن يتعلم فيها الأفغان كل أمورهم الدينية، والأدبية والروحية. إن هذه القيم الجمالية فى ديوانه، تبدو فى أكثر من جانب من جوانب شعر عبد الرحمن الوجدانى عقلا وروحا وحسا ووجدانا، وقد منح كل هذه الجوانب الحيوية اللازمة، ووهبها القدرة الكافية على البقاء والدوام فى عالم الشعر والأدب. ومن خلال جولة شاملة عبر ديوانه المؤلف من قسميه أو دفتره نلتقى بذلك الجمال البسيط المنبت فى كل زاوية من زوايا شعره وفكره ووجدانه. وبايجاز شديد جدا.. إن الأفغان العلماء منهم والنقاد يعلمون كيف تعامل عبد الرحمن مع الحرف الأفغانى، وكيف صاغ من الكلمة تعابير الشعريّة والأدبية، وكيف استخدم مفردات عربية وفارسية للتصوير والتجسيد! وبالجملة فإن ديوانه من حيث هو باقة جميلة من الشعر الأفغانى الوجدانى قوامها السهولة والسلاسة مع الرصانة والحلاوة!

وقد قدم عبد الرحمن فى ديوانه ألوانا جديدة، ثرية بالأفكار الإسلامية، عليها طابع الأصالة والصدق والعفوية الفطرية، وتتصل بواقع الحياة فى كثير من صورها ومناحيها، وهو فى ذلك لا يفرط أبدا فى سلامة اللغة، وشفافية العبارة، وحلاوة التعبير، وطلاوة التصوير، وجودة الكلمة، والتمسك بإسلاميته.. عقيدة ومنهجاً..

ونخلص من كل ذلك إلى أن عبد الرحمن فى ديوانه كله إسلامى الفكر والوجدان، إسلامى الشعور، إسلامى السلوك، إسلامى التصوير والتعبير، يحمل اشراقه الأمل الإسلامية. ومن هنا كان لديوانه فى المحيط الأفغانى أثره البالغ فى رسوخ التعاليم الإسلامية.

وأخيرا لا يخلو ديوانه عن الزهد الذى كان يومئذ مظهر من مظاهر التدين، وعلى هذا الأساس كان الجمهور والحكام ينظرون إلى الزهد، ويكرمون مشايخ الطرق الدينية، ويعظمون من شأنهم من خلال تدينهم. وليس فى ديوانه كله شعر العبث والمجون.

ديوانه يشتهر بين الكتب الأدبية والدواوين الشعرية بالتقدير والتقدير، وبالإجلال والتمجيد والمقام الجليل، وله بالإضافة إلى ذلك منزلة رفيعة بين الكتب الدينية.. فى المساجد ودور الكتب والمكتبات الدينية، وفى المنازل والمضاييف، والبعض لا يمسه إلا إذا كان متوضئا، ويعتقد البعض أن من يقرأه له أجر وثواب عند الله، وبناء على هذا الاعتقاد الراسخ يستمعون إلى مقطوعاته الشعرية التى ترتل فى حلقات الذكر، والتأمل الدينى، يتكرر ذلك ويستمر فى ليالى الشتاء، وفى أيام الصيف تحت الأشجار فى المزارع والحقول، وعلى شواطئ الأنهار، فتثير فى قلوبهم الهيجان والفوران، وفى نفوسهم الارتعاش والاهتزاز، وفى حياتهم النشوة الدينية والروحانية والأدبية العجيبة، حتى الرعاة فى الأودية وفوق الجبال وسطوحها يتمتعون بما يقرأون من شعره ويطربون<sup>(١)</sup>.

(١) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ٧٠ الطبعة الثالثة، بتصرف.

وإذا كان بعض الأفغان يقرأ ويرتل ديوان عبد الرحمن تبركا وتعبدا فإن البعض الآخر منهم يقرأه فى الأفراح والموالد ملحنا منغما بمصاحبة الآلات والفرق الموسيقية الشعبية<sup>(١)</sup>.

وعبد الرحمن هو الشاعر الوحيد الذى يتميز ديوانه الشعرى بهذه المزايا الشعبية.. الدينية والاجتماعية والأدبية المتعددة الجوانب فى المنزل والمسجد والمضيقة، وهذه المراكز الثلاثة هى مراكز التثقيف الشعبى فى الديار الأفغانية منذ أقدم العصور<sup>(٢)</sup>. أضف إلى ذلك أن ديوانه يدرس فى المدارس الدينية بجانب المواد الدينية<sup>(٣)</sup>. ويعتقد الناس فى منازل الأفغان أن عبد الرحمن ولى من أولياء الله الصالحين، ومصلح من المصلحين الدينين، ومن هنا أصبح ضريحه الذى لا يخلو من ديوانه مزارا للناس جميعا<sup>(٤)</sup>.

## عبد الرحمن ومنزلته فى نظر الشعراء الأفغان:

الشاعر الملقب بلسان الغيب عبد الرحمن بن عبد الستار كان فى عصره أكبر شاعر يحظى بالقبول الحسن، لأنه أجاد قول الشعر، وطبعه بطابع الأناقة، فهز جيله، وترك لسائر الأجيال أثرا شعريا عظيما لا يزال إلى الآن محط أنظار الشعراء والمتأدين والطلاب، فنال بذلك شهرة شاملة فى جميع طبقات الشعب بلا استثناء،

(١) شاعر إنسانيت رحمان بابا ٧٤، بشىء من التصرف.

(٢) محمد نواز طائر: روهى أدب ٣٠٩ الطبعة الثانية ١٩٨٦م.

(٣) شاعر إنسانيت رحمان بابا ٧٥، بشىء من التصرف.

(٤) شاعر إنسانيت ٧٦ بشىء من التصرف.

فكان جديرا بأن تلقبه بخطاب ” بابا “ الذى ما ناله من الشعراء والملوك إلا القليل.. فإذا قرأت بيتا من الشعر فأطربك أو أحزنك، أو أفنحك أو أرضاك، أو ترك أى أثر فى نفسك، فاعلم أنه من بيوت عبد الرحمن الشعرية، وأن ما تركه فى نفسك إنما هو روحه ومعناه، وهكذا ترك عبد الرحمن روحه ومعناه فى الشعراء الأفغان.. الذين ينظرون إليه نظرة تقدير وإجلال.. فتسابقوا فى مدحه ووصف شعره، وتباروا فى ذلك..

منذ أن امتزج الفكر الإسلامى بالفكر القومى فى ديار الأفغان، وسيطر عليه، ثم نشأ من ذلك لون خاص من ألوان الشعر الأفغانى الذى واصل نشاطه فى التطور والتقدم والارتقاء فى عصر المتقدمين أولا، ثم فى العصر الوسيط ثانيا، حتى بلغ فى التطور والرقى إلى مراحلته النهائية، فلبس ثوبا جديدا دججه به عبد الرحمن فى ديوانه بعدوبته اللفظية، وجزالته المعنوية وبيانه المعجز، وبرصانته فى التصوير والتعبير والأسلوب، الأمر الذى يترك أثره القوى على الفكر الأفغانى وفى الشعراء الذين يمثلون هذا الفكر، ولعل أول ما يلفت النظر فى ذلك كثرة الشعراء الذين أطنبوا فى مدح عبد الرحمن، وأطالوا القول فى شعره مدحا ووصفا وتأثرا..

والحقيقة التى لا يمكن إنكارها وإبعادها عن الذهن والفكر أثناء الحديث عن نظرة الشعراء إلى عبد الرحمن ومنزلته فى نظرهم، هى تمثيله آلام العشاق فى شعره، وفى الوقت نفسه يعبر بألفاظه البسيطة الرصينة، وبأسلوبه الدقيق الرقيق عن مشاعر كل فرد من أفراد الشعب الناطق بالأفغانية، وانظر إليه حيث يقول:

تطرب بالنغم والرقص والضحك  
حسان باگرام من روعة شعر عبد الرحمن<sup>(١)</sup>

وعبد الرحمن شادح التوحيد الإلهي والوحدانية، وأستاذ الخلق الطيب، والسلوك، ومرشد الضالين والمضلين، وهاديهم، وهو سالك طريق العشق الإلهي، وقائد هذا الطريق، وهو ملقن الدروس والعبر والمواعظ في السيرة والسلوك والخلق المستقيم، والعمل الصالح، وكان عمليا في كل ذلك قبل أن يكون ملقنا، والعشق الإلهي من مفاخره التي لا تدانيه مفخرة أخرى، وفي سبيل العشق الإلهي يتسراً من النسبة إلى قومه من بنى خليل، وبنى داود، وقبيلة مومند (مهمند) وفي ذلك يقول:

إننى عاشق، العشق شغل شاغلي  
لست خليليا، ولا دارديا، ولا مهمنديا

فلا غرابة ولا عجب إذا كان الشعراء الأفغان ينظرون إليه نظرة احترام وإجلال، نظرة تقدير وتمجيد، وهم يتبعون سلوكه، ويسرون على طريقه، وينشدون الشعر على أسلوبه في التصوير والتعبير، وفي التجسيد والتخييل، كما سيأتى ذلك عن قريب..

وعبد الرحمن ينبوع العزيمة والإصرار، ومنبع الصدق والاستقامة، ومصدر الخجل والانفعال، والعفة والحياء، والخلق والسلوك، والإيثار والفداء، والتميز والبذل، والمروءة والإنصاف، والتوكل على الله، والعصبية والدفاع، والرجاء

---

(١) روهى أدب ٣٠٧ - ٣٠٨، بتصرف

والخوف، والهمة والإقدام، والتدبير والتفكير، والتدبير وحسن النظر، والطاعة والانتقياد، والوجل والخوف، والاستغفار والمغفرة. وقد صور الشاعر هذه المعاني في شعره، ومن هنا مدحه الشعراء بهذه المعاني والموضوعات، وهى بالتالى موضوعات ومعان يمكن للأفغان أن يتعملوها فى مراكز ثقافتهم التقليدية.. المنزل والمسجد والمضيقة، ومن هنا نرى تأثير شعره فى جميع الطوائف الشعبية.. من المثقفين والشعراء وعامة الناس، وخاصة إذا أضفنا إلى ذلك ما لشعره من مزايا إنسانية وعلمية واجتماعية عامة، حتى قال النقاد والعلماء: إنه لا يشابهه فى هذه المزايا ولا يجاريه شعر شاعر آخر من شعراء الأفغان، وإن كان ذلك شعر الإمبراطور أحمد شاه بابا الدراني بطل معركة " يانى يت " والزعيم الشاعر خوش حال خان<sup>(١)</sup>! ومن هنا أيضا نرى عددا كبيرا من الشعراء الأفغان يفضلونه على غيره من الشعراء والكتاب والأدباء، وينظرون إليه نظرة إجلال وإكبار وتجليل، كما سيأتى قريبا..

كل الأفغان يعتقدون اعتقادا جازما على أن عبد الرحمن ولى من أولياء الله الصالحين، وشعره شعر عارف ربانى، وهذا سبب آخر من أسباب انتشار شعره بين الناس، وقبوله قبولا حسنا بين مختلف الطبقات فى الديار الأفغانية<sup>(٢)</sup>.. ويقول البروفيسور محمد نواز طائر: من الممكن أن يختلف النقاد فى: من هو أكبر شاعر فى منازل الأفغان، ولكنه لا يختلف اثنان فى أن عبد الرحمن هو أقرب الشعراء

---

(١) روهى أدب ٣٠٨ - ٣٠٩، بتصرف.

(٢) روهى أدب ٣٠٩ - ٣١٠، بتصرف.

وأحبهم إلى القلوب فى كل الديار الأفغانية، وله منزلة عالية، ودرجة رفيعة لم يبلغها غيره من شعراء الأفغانية حتى الآن<sup>(١)</sup>..

كل ذلك لأن عبد الرحمن الشاعر المحبوب قد انطلق فى الأجواء الشعرية بعد أن ملأه الشوق إلى الخلود، وكسر حوله القيود والضرورات، وتحول إلى وعى وبقظة، وإلى حس وشعور وخيال، فأصبح يرى ويسمع ويحس ما لا يراه أو يسمعه أو يحسه بقية الناس من حوله، وهو يعرف من أسرار الحياة ورموزها، ويسمع بدقة ما ترتله أصباحها، وأمسياتها، وهمسات لياليها، ونفحات أسحارها ما لا يدري به الآخرون من الشعراء وغيرهم.. إنه يحس الكون إبداعا جميلا ساحرا لرب حكيم لطيف، وقبل أن يصل إلى نشوة الحياة، يمضى الليل ساهرا، وبهيم عشقا بالإنشاد والإنشاء، ويعايش الكلمة الحية، فتبكيه أنشودة وتضحكه أخرى، وتقفه مقطوعة إلى البحر، وتحمله أخرى إلى الشاطئ، وتقله عاصفة عشق إلى جحيم لاهب، وتحمله فكرة لتقوده إلى نعيم سرمدى لا ينتهى ولا يكتفى، ثم تفتح عيناه بين أزاهير الحياة المبدعة الشاعرة، فيحس بعير ساحر لهذا الكون، ويتذوق سحر الوجود فى نسمات الريح وصحوة السحر والعشق الناعس. أليس لهذا الشاعر حق فى أن يكون محبوبا بين بنى الأفغان؟! وفيما يلى بعض من قال فيه ذلك:

---

(١) المرجع السابق بتصرف.

## ١- خوش حال خان:

يقول أمير الشعر الأفغاني، وشيخه وأبوه الزعيم خوش حال خان متعاليا بشعره ونفسه على عبد الرحمن وشعره وقومه، ويدعو السربنية قوم عبد الرحمن لتقدم مائة منهم فداء لغزل واحد أنشدته بالأفغانية، ولا يتعالى أحد على أحد إلا إذا كان يراه على مقدار منه في المنزلة وعلو القدر، أو يكاد أن يزيد ويعلو عليه قدرا ومنزلة وشهرة وعذوبة. يقول خوش حال خان في ذلك ناشدا شعره بالأفغانية مفتخرا بشعره، ومحاولا الحط من قدر شعر منافسه<sup>(١)</sup>:

فليصر مائة من السربنية فداء غزل واحد  
حيث نطق اليوم خوش حال بالأفغانية غزلا

## ٢- أشرف خان:

وصاحب الكلام العذب، والأسلوب الأعذب أشرف خان بن خوش حال خان والمتوفى سنة ١١٠٦هـ يشيد في شعره بما لعبد الرحمن من مقام ومنزلة عالية بين شعراء الأفغانية، حيث يقول<sup>(٢)</sup>:

إن صاحب اللسان العذب الذي ينثر من لسانه سكرا  
هو ذلك البلبل المغرد الذي يستقر في پشاوړ

(١) ديوان عبد الرحمن ٢٥، المقدمة، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م.

(٢) المرجع السابق.

شعر عبد الرحمن أرفع من أن يلقب ويوصف  
وقبول لشعره دليل على أنه أعلى شأنًا وأكثر اعتبارًا

### ٣- مصرى خان:

مصرى خان ككبانى من شعراء الأفغانية الذين وصفوا شعر عبد الرحمن  
ومدحوه مدحا عطرًا، وهو الذى يقول فى وصف شعره العذوب الرصين الذى  
يسيل عسلا وسكرا، وينثر الدرر والجوهر، انظر إليه حيث يقول واضعا شعره  
وشعر حميد فى منزلة أكثر عذوبة وحلاوة من منزلة الشعر الفارسى<sup>(١)</sup>:

إننى أرى شعر الفارسية أحلى مثل السكر  
وجعل حميد ورحمان شعرا الأفغانية أكثر منه عذوبة

### ٤- معز الله مومند:

والشاعر معز الله مومند (مهمند) من شعراء القرن الذى عاش فيه  
عبد الرحمن يثنى على قوة عبد الرحمن الأدبية ومثاقته وقدرته الفائقة فى قول الشعر  
وتصوير الأفكار، ويفضله فى كل ذلك على غيره، ويقول<sup>(٢)</sup>:

فى شعراء كل الديار الأفغانية  
قد وقع اختيارى على عبد الرحمن

---

(١) ديوان عبد الرحمن ١٩، أكاديمية البشتو، پشاور، وديوان عبد الرحمن ٢٨، المقدمة، كابل.  
(٢) مقدمة ديوان عبد الرحمن ٢٨، أكاديمية البشتو، كابل، وديوان معز الله ١٦، أكاديمية  
البشتو، پشاور ١٩٥٨م.

## ٥- كاظم خان شيدا:

هذا الشاعر كاظم خان شيدا بن أفضل خان أحد أحفاد الزعيم الشاعر خوش حال خان الذى جاء إلى الحياة بعد وفاة عبد الرحمن قد قلد فى كثير من شعره، ونسجه على منوال عبد الرحمن، وأسلوبه فى فن الشعر، اسمعه حيث يقول<sup>(١)</sup>:

إن قلب شيدا على هذه الشطرة من شعر رحمان  
“ أنت ملاك، أم غزال، أم ساحر؟ ”

ويقول فى بيت آخر من شعره، ويذكر كلا من عبد الرحمن، وحميد ماشو خيل باسم المهمندين، ويتمنى لو كانا على قيد الحياة لأننيا على شعره، انظر كيف يعبر عن ذلك<sup>(٢)</sup>:

إن كان المهمنديان على قيد الحياة الآن يا شيدا  
لكانا يثنيان على قولك الشعر فى كل وقت

## ٦- بيدل (مسلوب القلب):

ويلقبه هذا الشاعر العظيم من شعراء الأفغانية بلقب سلطان الشعراء، وذلك أثناء حديثه عن بعض الشعراء الأفغان شعرا، يقول الشاعر بيدل<sup>(٣)</sup>:

---

(١) مقدمة ديوان عبد الرحمن ٢٩، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، وديوان

كاظم خان شيدا ١٤٢، پشاور ١٩٦٥م.

(٢) ديوان كاظم خان شيدا ٥٢، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٣١هـ ش

(٣) ديوان بيدل ٢١٢، پشاور ١٩٥٧م، ومقدمة ديوان عبد الرحمن ٢٩ - ٣٠، أكاديمية

البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م

الذى يشتهر ديوان شعره الساحر بالأفغاناية  
بين زمرة الشعراء الأفغان هو الشاعر عبد الرحمن  
الذى قوله فى الشعر يساوى حاله.. لا زيادة ولا نقصان  
لذلك فمن المسلم قبوله الحسن عند كل عالم وجاهل  
إنه ملقب بلقب سلطان الشعراء بجدارة  
بحجة أن بيته ونصف بيته برهان له فى كل  
مكان

#### ٧- شمس الدين كاكور:

إن شمس الدين كاكور من أقوى وأشهر شعراء مدرسة بير محمد كاكور،  
بالإضافة إلى كونه شاعرا وأديبا من أبرز الشخصيات الأدبية والشعرية فى الأدب  
الأفغانى بصفة عامة، يلقب عبد الرحمن بلقب "لسان الغيب" ويقول<sup>(١)</sup>:

إن أمسك منصف ميزان الشعر فى يده  
ووزن بيان الشعر وسحره بالعروض  
لن يستطيع أن يصل بشعره إلى رحمان  
مهما كان هوس الأفغان فى إنشاد الشعر  
وفى الحقيقة إنه شاعر لسان الغيب  
كانت للسانه اللياقة والجدارة لقول الشعر

---

(١) ديوان شمس الدين كاكور ٤١، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٣٣هـ ش، ومقدمة ديوان  
عبد الرحمن ٣١، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م

## ٨- ميرزا حنان الباركزی:

وينظر حنان الباركزی إلى شعر عبد الرحمن على أنه جواهر نفيسة، ودرر لأمعة، بعضه مثال بعضه الآخر في الجودة والروعة، وفي العذوبة والحلاوة، وفي الحسن والجمال، يدل على ذلك هذا البيت من شعره<sup>(١)</sup>:

وشاعر آخر من پشاور وهو السربني  
شعره بالأفغانية يتفاضل بعضه بعضا

## ٩- عبد الله پوپلزی:

من شعراء كندهار (قندهار) ينظر إلى شعر عبد الرحمن على أنه معجزة، اسمعه حيث يقول<sup>(٢)</sup>:

تفوح رائحة المعجزة من شعر عبد الرحمن  
يرفع المرید فيعادلہ بسرعة مع مقام المرشد

## ١٠- مير أحمد شاه:

هذا الشاعر الشهير بالقاضي مير أحمد شاه رضواني يصف شعر عبد الرحمن ويقول إنه يتموج بالوجد، والحزن، والحب، والجذب، والمد، وفي ذلك يقول<sup>(٣)</sup>:

---

(١) ديوان حنان الباركزی ٦٣، كابل ١٣٣٦هـ ش، ومقدمة ديوان عبد الرحمن ٣١، كابل

١٣٥٦هـ ش/١٩٧٧م

(٢) مقدمة ديوان عبد الرحمن ٣١، كابل ١٣٥٦هـ ش/١٩٧٧م

(٣) المرجع السابق.

فى عهد " شاه عالم " وفى السربنية  
ظهر لنا فى هذا العالم عبد الرحمن  
أنشأ كالموسيقار نغمات صوتية  
أشعل بها النار فى العالم كله  
تعتقد وتقول كأنه حافظ شيرازى  
وقد ظهر فى الشعب الأفغانى  
جعل الصوفى والداعية والقاضى  
يرقصون من غيرى فى الميدان

١١- سيد عبد الرؤوف ( أيم.أى ):

الأستاذ سيد عبد الرؤوف خان ( أيم.أى ) أديب من أدباء  
الأفغانية(الپشتونية) ومن فضلائها المشهورين بالعلم والفضل والأدب، وقد أثرى  
الأدب الأفغانى (الپشتونى) بعلمه الغزير، وأدبه الجزيل، وفنه الرفيع، وبأسلوبه  
الرصين فى التأليف والإنشاء، جعل الله علمه وأدبه ذخرا للغة الأفغانية وآدابها.  
وهو من عشاق الأدب عامة والشعر خاصة، وقد عشق الشعر وبخاصة شعر كل  
من إمام العارفين عبد الرحمن بن عبد الستار الشهر برحمان بابا، وشاعر الإسلام  
العلامة محمد إقبال، مع الفارق بين لغة شعر كل من الشاعرين العظيمين حيث  
أنشد الأول بالأفغانية (الپشتونية) والثانى بالفارسية والأردية، ومع فارق البعد  
الشاسع بين العصرين اللذين عاش فيهما كل من الشاعرين الزاهدين رحمان بابا  
ومحمد إقبال. وحب سيد عبد الرؤوف خان للشاعرين الشهيرين يبدو واضحا  
وجليا مما كتبه عنهما من الموازنات الأدبية بين شعرى الشاعرين الصوفيين

المتباعدين فى البعد الزمنى واللغوى والمتقاربين فى المشرب والمسلك.. كالوجد الصوفى، والذوق الأدبى، والشوق النورانى. وهذا المشرب الصوفى هو الذى قد قرب بين الشعارين فى قلب هذا الفاضل عبد الرعوف.

فقد عقد الأستاذ سيد عبد الرعوف خان (أيم.أى). مقارنة أدبية فريدة ورائعة بين هذين الشعارين المتباعدين فى البعد اللغوى والزمنى، والمتقاربين فى الأبعاد الفكرية والوجدية والذوقية والشوقية الصوفية، أحدهما شاعر الأفغان عبد الرحمن بابا، والآخر شاعر الإسلام محمد إقبال تحت عنوان "شعر رحمان" نشرتها مجلة "الحق" فى مدينة "أكوره ختک" ص ٤٥، المجلد ١٣، العدد ٣ - ٤، شهر ديسمبر ١٩٧٧م يبدو منها أن العلامة إقبال متأثر فى بعض أفكاره الصوفية بفكر عبد الرحمن فى شعره الصوفى إن لم نقل بالتوارد الفكرى فى ذلك.

يقول سيد عبد الرعوف خان فى التمهيد لمقارنته الأدبية والفكرية بين هذين الشعارين الزاهين العظیمين: إن مراتب العشق ومقاماته - كما يقول أهل الزهد والتصوف - ثلاثة: مقام الوصل، ومقام الفصل، ومقام بين الوصل والفصل. والشاعر الوجدانى الصوفى الزاهد عبد الرحمن قد تناول فى شعره موضوع الوصل والفصل بكثير من الموضوعية وبمزيد من الاهتمام. وقد قارن عبد الرعوف بين ما يقوله عبد الرحمن وبين ما يقوله محمد إقبال فى هذا الموضوع الصوفى الشهير على النحو الآتى:

يقول عبد الرحمن:

ليس فى مقدورى النظر إلى وجهه من الأدب  
فقد ابتلانى الله بالفراق والوصل فى الملة

ويقول محمد إقبال:

نحن معدومون فيه، وهو منفصل مستقل عن الكل  
ماء رواء فى المرأة، وليس فى مرآة الماء والرواء

ويقول عبد الرحمن:

لقد وجدت الرصال وثمرت عليه فى الفصل والهجر  
واتصلت بيوسف وليقت به فى غياهب السجن  
فصرنا من الوصل كالمثنى من المعنى، والمعنى من المتن  
هكذا حبيبي، وهو داخل فؤادى وروحى ونفسى

ويقول محمد إقبال:

فى المكان الذى ليس فيه غير تجلياتنا النورانية  
لأنه لا يوجد النور والصدى من غير الجلوة  
ليس هو من غيرنا، ولسنا من غيره، ما هذه الحالة؟  
فصلنا وفراقنا وصال فى الفراق والوصل

ومهما يكن من أمر التأثير والتأثير والتوارد الفكرى فإن كلا من الشعارين  
الرمزيين يتحدثان عن موضوع الوصل والفصل أو عن الاتحاد مع المحبوب  
والانفصال عنه، ويصوران تلك الأفكار التى قالها وصورها غيرهما من السادة  
الصوفية، ولكنهما يتحدثان عنها بصورة شاعرية رائعة تحرك القلوب والمشاعر  
وتثير الأحاسيس، وتجعل القارئ يرى ويسمع هذه المعانى والأفكار من أبعاد فنية  
ومعنوية أخرى، وكأنه يراها ويسمعها من الشعارين الصوفيين بهذه الصورة وبهذا  
الشكل الرائع لأول مرة.

## شعره ودواعيه:

ينطلق شعر عبد الرحمن بن عبد الستار من مشاعره فى داخل أعماق وجدانه، وهو وثيق الصلة بالله خالقه، وهو ثورته الهادئة على الظلم والطغيان، وهو ناصره للمظلومين.. وهو ثورته الخالدة، وتراثه وتراث الأفغان الخالد التليد. ودواعى الشعر عنده كثيرة ومتنوعة، وكلها تنبع من الواجبات الإسلامية الملقاة على عاتقه، وعاتق الشاعر المسلم.. فقد وقف شعره لخدمة الإسلام، وقضاياها، ومجتمعه، دون الالتفات لحياته الخاصة، وقد وصل إلى قمة الإبداع فى كل هذه الجوانب..

لا تكن حزينا مغموما لأجل منافع الدنيا وأعراضها الفانية  
فكر بحزن فى أمور الدين، وشئون الإيمان ولا تكن ملحدا بلا دين  
كل مشكلة فى الدنيا لها حلها وطريقة فتحها يا قليل الحظ  
فلا تيأس من رحمة الله الواسعة، ولا تكن عابس الجبين<sup>(١)</sup>

وهو يؤكد أن أهداف شعره تمجيد الإسلام، وتمجيد رواده، وأبطاله، لعل الأمة الأفغانية تأخذ من ذلك القدوة، فتعيد تلك الأيام الخوالى وتنجب مثل هؤلاء الأبطال والرواد الغر الميامين. من أجل ذلك نراه وقد رسم لنا صورة المسلم البطل، والمسلم الرائد، والمسلم المناضل، وقد استخدم فى ذلك تصوره الشامل، وسعة فكره، ووضوح رؤيته، وطهارة سلوكه، وصدق إيمانه الإسلامى..

---

(١) مير عبد الصمد خان: شاعر إنسانيت رحمان بابا ٢١٨، ود رحمان بابا ديوان ١٥٩، تحقيق لفييف من علماء الأفغان، پشتو تولنه، كابل.

سيتمتع بالأمن من خطر الطوفان ذلك القلب الشجاع  
الذى يحمل كالسفينة مشقة أحمال الناس ومعاناتهم<sup>(١)</sup>

شعره رصين سلس، سهل واضح المعالم والمعانى، له شفافية روحانية عذبة،  
يشتمل فى الغالب على الموضوعات الدينية والخلقية، أو التى لها صلة وثيقة بالدين  
والعقيدة والوجدان، ولهذا كان واحدا من الحدادة لركب الإيمان السائرين على  
درب الحق. إنه يعبر فى شعره الرصين عن مشاعر الأفغان الفطرية والقومية،  
ويصورها بأسلوب بسيط، وفى ألفاظ دقيقة عذبة، وعبارات تقطر عذوبة  
وحلاوة، الكل يفهمه بقدر ما فيه من القدرة على الفهم، وكلما تعمق فيه كلما  
وجد فيه معنى أعمق، ومفهوموا أوسع.

فى شعره إخلاص مواج، وإجادة متناهية، وطيبة متدفقة، ورصانة ملموسة،  
وعذوبة طيبة، وبساطة جميلة، ومتانة محكمة، وحرقة ملتهبة، وفهم عميق للمفاهيم  
الإسلامية، لم يكن عبد الرحمن بابا من الناطقين بلغة أهل الحجاز، ولكن فهمه  
الجيد لكلمة التوحيد كان عميقا إلى أبعد الحدود، وفى عمقه هذا توسع غير  
محدود، كل ذلك ساعده على معرفة الأسرار فى كلمة التوحيد والمفاهيم الإسلامية  
الأخرى.

وقارئ شعر أب الأفغان عبد الرحمن يحس من اللحظة الأولى بلهفته الشديدة  
لكشف المجهول، وشوقه المزيد لما يحمله الغيب، لأن المسلم مطمئن لما يأتى من عند  
الله، لذلك نراه يعبر عن الأمل المحجوب بستار الغد والانتظار الشائق المحرق

---

(١) د رحمان بابا ديوان ٢٢٩، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، طبعة پشتو تولنه، كابل.

أحيانا، بل والمرارة والحمران من الواقع أحيانا، كما يشعر قارئ شعر عبد الرحمن بأن الإيمان في شعره نور غامر يفيض بلا نهاية، وفسحة ظليلة تمتد بلا حدود، ورؤية واضحة متجددة مع الزمن، وطمأنينة مؤنسة بلا ملل، إنه يصل بين الإنسان المؤمن والحياة بوشائج الفطرة التي لا تضعف، بعد أن يصل بين الإنسان المخلوق وخالقه الكريم. والإنسان الذي يخاطبه عبد الرحمن بابا هو الذى صاغه الإسلام فكرا ووجدانا، وسلوكا فى حياته فى الدنيا والآخرة، وهو الإنسان الذى بقيت فطرته سليمة، واستعصت على الجاهليات، فلم تستطع إفسادها. وهو كل إنسان حمل الإسلام منهج حياة، والتزم به عقيدة وسلوكا.

وأخيرا فإن أشعار عبد الرحمن بن عبد الستار مضرب الأمثال لما حوته من الفصاحة وحسن البيان، ولقيمتها الأدبية والاجتماعية، ولأنها حليلة تزين المجالس والرسائل، وتناسب كل المناسبات، وتريك المخيل فى صورة المحقق، والمتوهم فى معرض المتقين، والغائب كأنه مشاهد، فهى كاللحجة البالغة، والحكمة الواضحة.. ومن هنا لم تنل أشعار شاعر أفغانى ما نالته أشعار عبد الرحمن من الشهرة وبعد الأثر، فقد مضى على وفاته أكثر من ٢٨٦ عاما ولا تزال أشعاره حية فى النفوس والأذهان، تحى فيها الحماس، وتذكى الأنفة، وتمنح الحكمة.

### شاعريته:

لم ينل شعر شاعر أفغانى من الشهرة والذيع ما ناله شعر عبد الرحمن وشاعريته الوجدانية، فهو بعيد الأثر فى مجالس الأدب، شائع بتوسع بلا حدود بين جميع الطبقات، ولشاعريته الوجدانية مقام فريد بين شعراء الأفغانية وشاعريتهم،

لنضج القوة الشعرية فى شاعريته الفطرية، ولعدم تقييد شاعريته الموهوبة بقيود إلا بقيد العقيدة الإسلامية.

وعبد الرحمن فى مجال الشعر وفنون الشاعرية صاحب مذهب فى الشعر تم وضع دعائمه وأسس بنيانه على يديه منذ القرن السابع عشر الميلادى، وأصبح له خصائصه الفنية التى تميزه عن غيره من المذاهب أو المدارس الأدبية والشعرية، وقد عرف هذا المذهب بالمدرسة الشعرية الرحمانية نسبة إلى عبد الرحمن، وقد اتخذها كثير من تلاميذه وأتباعه مذهباً لهم، ساروا على دربها، ونسجوا على منوالها، من أمثال عبد الرحيم هوتكى، وأحمد شاه الدراني، وعبد العظيم السواتى، والملاجمعه الباركرى وغيرهم. وهكذا كان لشاعريته أثر كبير فى من أتى بعده من الشعراء.

وقد كتب لهذا المذهب الشعرى، أو المدرسة الشعرية الديقوع والانتشار والبقاء، وتأثر بعبقرية صاحبه، وبشاعريته الموهوبة كثير من شعراء الأفغان كما قلت، وذلك لما وهبه الله من طبع وموهبة وذكاء خارق، وملكة مبتكرة فى الشاعرية التى تنبع من أعماق وجدانه، والتى بلغت ذروة الكمال.

شاعرية عبد الرحمن الوجدانية تصور صدى فؤاده، وتحمله إلى الآفاق البعيدة، والقارىء لشعره يشعر بأن لسان شاعريته وإن كان فى ظاهر الأمر يخاطب الخلق، إلا أنه فى حقيقة الأمر يخاطب رب الخلق من أعماق قلبه ووجدانه.. ومعنى ذلك أنه يخاطب الخلق ويناجى رب الخلق فى آن واحد. وهذه الكيفية المزروجة النابعة من شاعريته المطبوعة، ومن عبقريته الموهوبة قلما يعثر عليها عند غيره من شعراء الأفغانية. ويكفى شاعرية عبد الرحمن فخراً أنها تركت لنا ديوان شعر كان ولا يزال مرجعاً يهتدى به الشعراء الأفغان فى كثير من فنون

الشعر، ولا يزال كثير من الباحثين يجدون فيه معينا لا ينضب لكثير من المعاني والبحوث والدراسات.

وتمتاز شاعريته برقة فى الطبع والتعبير، وبدقة فى العبارة والتصوير، إلى جانب ما تتمتع به من النعومة والسلامة والعذوبة، وتبلغ الدرجة العليا من الأناقة والرشاقة، وهو فى شاعريته فى طليعة الشعراء ديباجة وملاءمة ورونقا، وسهولة وجزالة وحلاوة، وفى شاعريته الطبيعية الفطرية رصانة ونصاعة ولطافة، إلى جانب اشتغالها على الطلاوة والملاحة والحسن..

يا إلهى الكريم، احتراماً وتكريماً لنبيك الحبيب  
اجعل هذا الإنشاء البسيط لعبد الرحمن مصبوغاً بالجمال والروعة<sup>(١)</sup>

فى شاعريته الفطرية ارتباط وثيق بين الشكل والموضوع، بين الأسلوب والعمل، بين الظاهر والباطن، بين المظهر والجوهر، وبين اللفظ والمعنى، إن مدرج الالتزام الإسلامى فى شاعريته يبدأ بالإسلام، فالإيمان، فالتقوى، وينتهى بالإحسان..

إننى بفطرتى وبطبعى الحسن فى غنى عن أذى الحاقدين  
وإننى بجملى وصبرى كالماء أكافىء النار جزاء لها  
وإننى أبديو وأظهر لجميع الناس فى شكلى وصورتى الحقيقية  
وإننى كالمرآة بلا مواراة، وبلا رياء وتظاهر<sup>(٢)</sup>

(١) د رحمان بابا ديوان ٢٢٢، طبعة پشتو تولنه، كابل ١٩٧٧م

(٢) المرجع السابق ١٠١، ويشتانه شعراء ١: ١٩٧

إن الجمال فى شاعرية عبد الرحمن ملمح أصيل يميز بين الجمالية الإسلامية الصارمة وبين سائر المذاهب والمواقف الجمالية التى انبعثت عنها أنماط شتى من الآداب والفنون. إن الجمالية الرحمانية الصادقة ترفض هذه الخديعة، والمواراة، وتصف بالكذب أولئك الذين يسعون إلى تزييف الحياة بالنفاق والخداع، إن الإنسان المسلم يتميز بكونه يعيش الحياة بنوعها الباطنى والخارجى بتركيز شديد من الاستقامة الصادقة، وحسن الخلق والسلوك. فليحترق ذلك القلم الذى لا يكتب إلا صدقا، وليمت ذلك القلب الذى لا يتأمل إلا بصدق:

إننى عبد الرحمن أطلب الحماية من مثل أولئك الناس

الذين يتظاهرون بخلاف مقاماتهم التى لا يتمتعون بها<sup>(١)</sup>

إن الشعر فى شاعرية عبد الرحمن الوجدانية نوعان: وجدانى وموضوعى، فالشعر الوجدانى ينبع من أعماق وجدانه، ويدور حول نفسه، بعد أن يتأثر بأمر ما، ثم يظهر ذلك التأثر بالكلام المنظوم. شأنه فى ذلك شأن غيره من الشعراء. ومن هذا النوع فى شعره مدحه وثناؤه لربه، ومدحه لرسوله (صلى الله عليه وسلم)، ووصفه لما تقع عليه عينه، ودعوته إلى الإصلاح.

أما شعره الموضوعى فيلدور على شئ خارج عن نفسه ووجدانه، على صفات يتخيلها أو يراها فيما حوله من ظواهر الطبيعة، أو النظر فى حياة الإنسان المسلم وما إلى ذلك من المواضيع الخلقية والسلوكية والاجتماعية والأدبية التى تمثل

---

(١) درحمان بابا ديوان ٤٠، طبعة پشتو تولنه، كابل، و٧٥ طبعة پشتو أكيدى، جامعة

پشاور.

للجمهور ما يشعر به فى الحياة، أو تحملهم على أجنحة الخيال إلى ما وراء المحسوسات، فتثير فيهم حب الجمال وتدفعهم فى سبيل الوصول إلى الكمال. والنوع الأول وهو الشعر وجداني يستوعب أكثر صفحات ديوانه بقسميه بينما نرى النوع الثانى وهو الشعر الموضوعى فإنه أقل من النوع الأول بكثير، وإن كان النوعان من شعره يستويان على العرش فى الجودة والروعة والكمال.

## موضوعات بابا:

إننا إذا أردنا أن نقسم شعر عبد الرحمن بابا على أساس مضمونه لوجدنا أنه ينقسم إلى قسمين أساسيين، الأول منهما شعر وجداني فلسفى صوفى يتناول معانى الصوفية والفلاسفة الاسلاميين كالحديث عن المحبة الإلهية، والوجد، والنفس الإنسانية، وأصلها الإلهى، وحينها إلى ذلك الأصل الذى انفصلت عنه، ولحاح عن وحدة الوجود بمعناها الصوفى لاعمناها الفلسفى، فهو فى هذه الناحية يختلف اختلافا كبيرا وأساسيا عن محى الدين بن عربى، ويتفق مع مولانا جلال الدين البلخى (الرومى) اتفاقا كاملا. والشاعر عبد الرحمن فى هذا اللون من الشعر الوجداني يخلق دائما فى آفاق العالم الروحى، لا يكاد يمس الحياة المادية إلا ليوضح تفاهتها البالغة اذا تمت موازنتها أو مقارنتها بالحياة الروحية، وما تنطوى عليه من سعادة وبهجة قوامها الكمال والجمال والخلود. كان هذا هو القسم الأول من شعر هذا الشاعر العظيم من شعراء الأفغانية (الپشتونية).

والقسم الثانى من شعر هذا الشاعر الصوفى شعر إنسانى خلقى، يتناول فى قسم كبير منه الإنسان وأهميته فى هذا الكون والوجود، وهو فى هذا اللون من

الشعر الإنساني الخلقى معلم أكثر منه فيلسوفاً، يترك الرمز في كثير من الأحوال والموضوعات ويستخدم القصص والأمثال لتوضيح الأفكار والآراء التي يدعو إليها. وفكرته أو فلسفته الخلقية هنا قائمة على دعوة الإنسان المسلم لتحقيق الكمال في هذه الحياة الفانية. وتختلط في ديوانه شعر الفلسفة والحكمة والشعر الخلقى والتعليمي، وبطبيعة الحال يختلف أسلوب الشاعر في شعره الوجداني عنه في شعره التعليمي، ففي شعره الوجداني يبدو جياش العاطفة، شديد الإحساس، مرهف الشعور يعبر عن المعاني الروحية بقوة وحرارة جديرتين بهذا النوع من الشعر الوجداني، وهو يعرض علينا فلسفة الصوفية والزهاد بطريقة تبدو جديدة، تختلف كل الاختلاف عن كل ما عُرفَ من شعر صوفي إسلامي، سواء ما كان منه بالأفغانية، أو بالعربية أو الفارسية أو التركية. فقد تناول في كثير من غزلياته ومقطوعاته الشعرية موضوعات التصوف تناولاً مباشراً، وعالجها بأصالة فنية جعلت شعره يختلف اختلافاً كبيراً عما كتبه غيره من شعراء الصوفية في البلاد الأفغانية. وبينما نجد شاعرين عظيمين كابن الفارض والحافظ الشيرازي يغرقان معانيهما الصوفية في سيل من المحسنات اللفظية والعبارات المنمقة نجد عبد الرحمن متحرراً في أسلوبه وطريقة تعبيره من تلك المحسنات، منطلقاً بعباراته إلى آفاق لا تحُد، لا تكاد عباراته تحمل من شحنات معانيه إلا القدر الضروري الذي يشير الخيال ويستحثه إلى ملاحقة الشاعر المخلق في الآفاق العالية في عالمه الروحي.

ولكن طريقة الشاعر في معالجة موضوعاته الصوفية والفلسفية والتعليمية في شعره بنوعيه الوجداني الفلسفي والإنساني الخلقى قد خلت عن الترتيب والتنسيق الدقيق، فهو ينتقل من موضوع إلى موضوع، ومن غرض إلى غرض، ومن مقصد إلى آخر دون منهج محدد يتبعه ويسير عليه في هذا الانتقال السريع. ومع ذلك فإن

كل جزء من أجزاء ديوانه، بل كل بيت من أبيات مقطوعاته الشعرية يمثل وحدة فنية متكاملة، وأن ما يبدو فيه من انطلاق على غير نظام موضوعي محدد ليس هو الواقع، وإنما هناك ارتباط فني دقيق في التنقل من موضوع إلى آخر. أو من هدف إلى هدف ومهما يكن الأمر فإن هذا التنقل بين الموضوعات والأهداف لا يعنى أن الشاعر لا يعالج الموضوع الواحد بصورة فنية مترابطة. فنحن فى إمكاننا أن نستخرج من الديوان موضوعات كثيرة تناولها الشاعر تناولا فنيا بارعا، واستطاع أن يقدمها لنا فى هيكل فنى متكامل العناصر، مترابط الأجزاء، تجمعها وحدة فنية أكيدة ذات جذور أدبية أصيلة.

### الفن عند عبد الرحمن بابا:

ليس فى مقدورى الإحاطة الكاملة بفن هذا الشاعر العظيم فى هذه المقدمة الموجزة. ولكن حسبى أن أذكر بعضا من الحقائق الفنية التى تعين القارئ على تذوق هذا الفن، والإلمام ببعض من خصائصه الفنية. لقد امتاز شعر عبد الرحمن بميزات فنية عديدة أهمها ما يأتى:

#### أولا - المثالية:

المثالية فى كل المعانى والمفاهيم، وفى كل الأساليب وطرق التعبير، هى اللهجة الغالبة على هذا الشاعر وديوانه، فهو مثالى فى تصويره وتعبيره، مثالى فى أسلوبه وطريقة أدائه، والمثالية هى المقياس والحكم الفيصل فى كل المواقف والمجالات، وفى كل المظاهر والمجالى، فالصوفية وأهل الزهد الإسلامى هم العظماء والملوك، وجوهرهم النقى الصافى هو مقياس ذلك، والميزان المفضل عنده،

وتجردهم من علائق المادة، وطغيان الأهواء النفسية هو الذى قد أهلهم لذلك. ولا بد فى هذا وذاك من الإخلاص والصدق والتفانى، ولا اعتبار للمظهر ونضارة المنظر والمجلى، وكم فى الديوان صرخة فى وجه الظالمين، قد تجىء فى شكل الإنذار الواضح، وقد تجىء فى صورة السخرية اللاذعة التى لاتقل تأثيراً وإثارة عن تأثير أسلوب القوة والإنذار الصريح، وكم فيه من فضيلة أبداع فى تصويرها بما إبداع، وكم فيه من كشف عن الرذائل الكامنة فى أعماق النفس البشرية، بأسلوب الخبير المثالى العليم بالنفس الإنسانية، الماهر المطلع على كوامن أسرارها العميقة، ومستتر خلجاتها وخواطرها الخفية، إن مثاليته فى كل ذلك تشبه مثالية مولوى جلال الدين البلخى (الرومى) فى مثنويته الشهيرة، ومثالية السنائى الغزنوى الذى نظم المثنويات الصوفية لأول مرة فى التاريخ الأدبى، وأشهر مثنوياته " حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة ".

ما أحسن هممة العاشقين والمحبين وما أعظمها  
وما أعظم ثباتهم فى العشق على مقياس وجهة واحدة  
لا يتبدلون فى وقت من الأوقات ولا يتغيرون  
وإن كان أهل العالم كله يوجهون إليهم الملامة

### ثانياً - لغة التعبير:

إن لغة التعبير والتصوير فى ديوان عبد الرحمن تغلب عليها البساطة والوضوح، والبعد عن التكلف والمجاملة، وقد تعمقت الفكرة مع هذه البساطة إلى أبعد حدود التعمق الذى تتجلى فيه عبقريته، ومع كل ذلك تستهويه النفوس، وتعشقه الآذان بما يضرب لها من أمثال واقعية، أو قريبة من واقع الحياة، وصرورها

وخطوبها، أو من مباحجها وأفراحها، ويعتبر فى ذلك اماما اقتدى به من جاء بعده من شعراء الأفغانية. وقد برع عبد الرحمن فى كل ذلك بسلامة لغته وتفكيره، واعتدال طبعه ورصانة أسلوبه، كما برع فى قول السهل الممتنع، وجزالة اللفظ، والمعنى الغزير، وبخلو لغته من التكلف والتعقيد.

و لم تكن لهجة عبد الرحمن ولغته مقصورة على لهجة واحدة من اللهجات الأفغانية العديدة، وإنما كانت خليطا من لهجات متقاربة متناسقة منسجمة، الأمر الذى يدل على أنه قد درس بدقة وتعمق وإمعان عديدا من الدواوين الشعرية والكت الأدبية كتبت بعدد من اللهجات الأفغانية، وتأثر بها تأثرا كبيرا وعميقا، ولهجته فى ديوانه، بل لغة ديوانه تمتاز كما قلت بالبساطة الشديدة من حيث سهولة ألفاظها، وقرب معانيها، وخلوها من التعقيد والتكلف والتصنع مع تعمق الفكرة التى تتجلى فيها عبقريته الشعرية والفكرية. كما برع فى نظم الغزل الصوفى بلغة سهلة سلسلة بسيطة.

لم يقم أحد من الناس بوزن الدر والجوهر بالميزان

شعر عبد الرحمن در وجوهر فكيف تقوم بوزنه؟

### ثالثا - روعة التصوير:

روعة التصوير البيانية التى عبر بها الشاعر عبد الرحمن عن أفكاره ومشاعره ضاربة فى البهجة والروعة إلى أبعد الحدود، فهو يستطيع أن يجسد الأفكار، ويشخص المشاعر، فيجعل القارئ أو السامع يشعر بالمعنويات كأنها محسوسات يكاد يلمسها، كما أنه يستطيع بسهولة وبساطة أن ينطلق من المحسوسات إلى

المعنويات دون أن يشعر القارئ أو السامع بملل أو خلل، وهو يمزج بين الطبيعة والحياة والنفس الإنسانية في صور أدبية وبيانية متكاملة تجمع بين عمق التأمل وروعة التصوير ودقة التعبير تنطوي على كثير من المنازع الفكرية والفلسفية. وقد شدا على أيكته شعراء آخرون ممن هتفوا بنغمات الحب في روضات الشعر بلغة الأفغان في روعة التصوير ودقة التعبير. ولنضرب لذلك مثالا من شعره. يتحدث الشاعر في بعض مقطوعاته الشعرية عن تجدد الدنيا وتغير أحوالها في كل لحظة، ثم ينتقل بعد ذلك إلى دعوة الإنسان لتأمل نفسه وما يطرأ عليها من تغير مستمر، ثم يربط دخول الجنة برضا الله لا بالعبادة، وذلك في مثل هذا القول:

في كل يوم من الأيام في الدنيا تشرق شمس جديدة  
والشمس التي تغرب اليوم ليست بمشرقة مرة ثانية  
إن دخول الجنة لا يتم إلا بفضل من الله لا بعبادته  
غير أنه يجب على كل عبد القيام بأداء مسئولية العبادة  
انظر إلى غيرك مثلما تنظر إلى نفسك، وتأملها  
فإن لكل إنسان نفسه ورغباته مثلما لنفسك رغبات  
لذلك فإنني أنا عبد الرحمن لا أشتكى من أحد إلى أحد  
لأنه ليس لي من غيرك أيها المحبوب صديق ولا عدو

فلنتأمل هنا كيف بدأ الشاعر من فكرة عامة هي تغير الدنيا لحظة بلحظة، ثم ربط بين التغير والجنة والعبادة ربطا محكما، ثم انتقل من ذلك إلى دعوة الإنسان لتأمل نفسه والنظر إلى مصلحة أخيه المسلم كما ينظر إلى مصلحة نفسه، وذلك بناء على مبدأ المساواة في الرغبات والمتطلبات في المجتمع الإسلامي.

## رابعاً - فن الحوار :

كانت للشاعر عبد الرحمن مقدره فائقة فى فن الحوار، فهو لا يكاد يطرق موضوعاً من الموضوعات ويتحدث عنه حتى يعالجه فى حوار صريح وحديث جاد، يبين فيه الآراء ووجهات النظر المختلفة، وينتهى منه إلى الرأى الذى يريد بيانه، ويرغب فى تصويره، والتعبير عنه، وقد بلغت مقدرته فى الحوار مستوى عظيماً ورائعاً جداً، حيث يعبر بمقدرته الفائقة عن لواعج الحب فى نفسه فى الحوار الذى يدور بينه وبين محبوبه، فيصور ما يحسه من وجد على من يحب، ويتقسم قلبه نتيجة لهذا الحوار النفسى بين الحنين والأنين، وبين الحسرة والندامة، وبين البكاء والتفجع، وهذا كله على الوجه الذى يظهر لنا من خلال الحوار النفسى الذى يخاطب من خلاله محبوبه، ولا سيما أنه كان إلى صوفيته وزهده البالغين شاعراً مطبوعاً، منحه الله مقدره فائقة لتصوير حبه لكل ما هو حسن جميل، منجذباً بسجيته إليه، مقبلاً بفطرته عليه، ومحبوبه هو الله، ومحبوبته هى الذات الإلهية العلية التى يشهد لها عند سماعه من يشدو باسم هذه المحبوبة، ويصفها وصفا لعله خير ما يفسر به حال الذائق الواحد عند سماعه مثل هذا الحوار، وإن كان حواراً نفسياً يدور بينه وبين محبوبه. وذلك على النحو الذى يدل عليه قول عبد الرحمن فى هذه المقطوعة الشعرية التى يدور فيها الحوار بين الحبيب والمحبوب أو بين الجور والدموع:

كيف تقول لى سائلاً: لماذا تذرف الدموع الساخنة  
أفلا يبدو لك جورك وظلمك وإعراضك أيها المحبوب؟

أنت تجور وتجفرو، وأنا أذرف الدموع الساخنة يا محبوبى  
أيها المحبوب إن لم يكن منك ذلك لن يكون منى هذا  
إن كان رسم كل معشوق وعادته مثل رسمك وعاداتك  
فمن أين يمكن لطائفة العشاق والمجيبين أن يفرحوا بالسعادة؟  
إن خصالك هذه - أيها المحبوب - لو استمرت على هذا المنوال  
فإنه لا يبدو لى دواء لعلاج القلوب المرحوحة بالآلام الحب  
الأول شدة غضبك والثانى قسوة طغيان أهل التنافس  
كل منهما يقوم بقتلى بالتناوب .. هذا حيناً وذاك حيناً آخر  
كل من سلك طريق العشق والحب وإن كان أفلاطون بعينه  
فإننى أراه مجنوناً.. سواء كان ذلك الجنون اليوم أو غدا  
افرض بأننى أصبحت - على كلام الناس - كلباً يحرس حارتك  
فإن الكلب لا يجب أن يموت من طول عذاب الفراق والبعد  
لا أطلب شيئاً أبداً يا عبد الرحمن لأنك أنت طلبى أيها المحبوب  
إننى قد رضيت بذلك، والأمر بعده متروك لرضاك أيها المحبوب

فقد عاج الشاعر فى هذا الحوار الجاد الذى يجرى بينه وبين محبوبه الأسمى،  
أو بين جور المعشوق ودموع العاشق حتى يصل منه إلى ما يريد الوصول إليه،  
وهو أنه ليس له طلب آخر غير معشوقه أو محبوبه، على النحو الذى ظهر لنا من  
خلال هذا الحوار.

## خامسا - الحكم والأمثال:

تكثر في الديوان الحكم والعر والأمثال التي يصوغها الشاعر بوحى من التعاليم الإسلامية والخلقية، أو بوحى من فلسفته الصوفية، فتزيد شعره قوة في التأثير والتعمق والجمال، فالحكمة في موضعها، وكذلك الأمثال في مواضعها تزيد المعنى قوة ووضوحا وجمالا، وتجعل الشعر قادرا بجماله على النفاذ إلى أعماق النفس البشرية والتأثير فيها. والشاعر عبد الرحمن يقتبس الحكمة الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المطهرة، ومن الأمثال الأفغانية الشعبية، ويتوسع في بيان مدلولاتها، وهو في كل ذلك شاعر أصيل، وصاحب فكر عميق، نلمس عنده الإحساس الصادق العميق، والعاطفة الصادقة الجياشة، والعقل الواعي اليقظ، والنفس الزكية الصافية، واليقظة الفكرية التي تستطيع بمجادرة أن تبث الصفاء والنقاء في نفوس الآخرين، وتشيع فيها البهجة والسرور، وتصحبه في دروب من التأمل العميق، وآفاق واسعة من الفكر الرفيع، تعينها وتساعدها على تحقيق حياة أسمى وأنقى، والطموح إلى غايات أعلى وأرفع عن تلك الغايات المادية التي يعنو لها البشر في هذه الحياة الفانية. ولا أريد أذكر هنا شيئا من أمثال الشاعر أو حكمه وعيره لأن القليل في هذا المجال لا يدل على الكثير، والذي يقال في موضوع لا يمكن أن يدل على ما يقال من حكم وأمثال في شتى الموضوعات، ومختلف المناسبات، إلا أن هذا لا يمنع من أن أذكر ثلاثة من الأمثلة في الحكم والأمثال أحدها من القرآن الكريم، والآخر من السنة النبوية الشريفة، والثالث من الأمثال الأفغانية الشعبية كما يظهر ذلك من الأمثلة التالية:

١- القرآن الكريم: فقول عبد الرحمن في مقطوعة من مقطوعاته الشعرية التي يقول فيها:

إن مصير كل من يأتى إلى هذا الوجود موت وفناء  
تعال، وانظر إلى ما تقوم به الدنيا من الغارات والنهب  
هذا القول أو بالأصح الشطر الأول منه مأخوذ من قوله تعالى في سورة  
الرحمن الآية رقم ٢٦: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ  
وَالْإِكْرَامِ﴾.

٢- الحديث النبوى الشريف: وقول الشاعر عبد الرحمن فى المقطوعة الشعرية السابقة نفسها:

لكل مريض فى هذه الدنيا دواء لشفائه  
إلا أنه لادواء لمن مرض بمرض حب الدنيا  
فالنصف الأول أو الشطرة الأولى من هذا القول أو بيت الشعر مأخوذ من هذا  
القول المأثور: " لكل داء دواء".

٣- المثل الأفغانى: ومن أمثاله وحكمه الأفغانية الشعبية قوله فى المقطوعة الشعرية السابقة:

ستظل العشرة عشرة، والعشرون عشرون حتى القيامة  
لم يكمل أحد من الناس العدد والحساب فى هذه الدنيا  
قوله هذا مأخوذ من هذا المثل الأفغانى المشهور: " لس به لس وي، شل به  
شل "

## سادسا - الأمور البسيطة:

لقد استطاع الشاعر عبد الرحمن بابا بن عبد الستار فى كثير من الأحيان أن يجعل من الأمور البسيطة التى تمر تحت أعيننا وبصرنا موضوعا شعريا يليق بشعره، فشعره يتناول الحياة فى الكون والطبيعة بكل جوانبها ونواحيها، وعبقريته الشعرية تستطيع أن ترفع بعض الموضوعات من مستواها التافه إلى مستويات فنية عالية تجعلها جديرة بأن تقرأ، وأن تثير التأمل فى النفس، والفكر فى العقل، وليس هذا غريب على مثل هذا الشاعر الأصيل، كما أننا لسنا بحاجة إلى أن نبرر مثل هذا التصرف من الناحية الفنية، فهو كالمصور الفنان البارِع الذى يتخذ أمورا تافهة موضوعا للوحاته، فيرفعها بفنه وبراعته إلى مستوى بحيث يفرض على الأعين والأبصار تأملها، وعلى العقول والأفهام تلقيها والتأثر بها. ومن ذلك وصف الشاعر للواعجه وعبراته وزفراته وآهاته وغير ذلك مما لقيه فى محنته، وهى الحب الذى كان كذلك فى أول عهده، ثم أصبح أعظم منحة من محبوبته، وهى الذات العلية، فأبياته الشعرية وما فيها من الفنون البديعية تدل دلالة صريحة على أن عبد الرحمن كان شاعرا صاحب قريحة وسليقة، وكان الشعر عنده أداته المفضلة للتعبير عن ذوقه الشعرى والوصفى، ووجدته القلبي، ولوعته النفسية يجعل من الصعب سهلا مدللا، ومن السهل البسيط جميلا مجللا، ذا رونق وجمال ورواء. وديوانه يعد تحفة أدبية رائعة له خصائصه الفنية بكل ما فيه من الألفاظ والعبارات، ومن المعانى والدلالات، ومن القرائن والمناسبات تجعل من الموضوعات العادية موضوعات فنية عالية جميلة، وترفع من شأنها حتى تليق بشعره فى ديوانه.

مرة أخرى وقع قلبي أسيرا في يد الضفائر السوداء  
واحتل جيش الحبش يساري ويميني  
أطلقت سهام الدعاء والتضرع في كل جهة  
إلا أنه لم يكن في السهام سهم قد أصاب الهدف

### سابعا - الأسلوب والسليقة:

الشاعر عبد الرحمن متنوع الأساليب، ومتنوع المسالك والطرق، وقد هدته سليقته الشعرية إلى نظم الشعر بصور شعرية متباينة، وأساليب وطرق متنوعة، تتلاءم مع عديد من المذاهب الفنية التي ظهرت خلال القرون التي سبقت قرنه الذي كان يعيش فيه، فعنده الشعر الذي يمكن أن يعد من الشعر الواقعي، وعنده الشعر المثالي، وعنده الشعر الرمزي، بل عنده شعر اللاوعي. ذلك لأنه قد ذاق من أحوال الحب وأهواله أكثر من غيره من العاشقين والمحبين، فكان من الطبيعي أن يصطنع في هذه الأهوال والأسقام والأحوال أساليب متنوعة ملائمة لطبيعة الموضوعات التي أراد تصويرها والتعبير عنها، وقد امتاز أسلوبه في جملة، وفي أكثر تفاصيله بركة اللفظ، ودقة المعنى، وعمق الفكرة، وجمال الصورة وروعها التي كثيرا ما يتخيلها الشاعر تخيلا مبدعا، ثم يصورها بأسلوبه تصويرا رائعا جميلا، وهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على أن عبد الرحمن كان صاحب ذوق مرهف في تنوع الأساليب والمسالك والطرق، حيث إنه قد تقلب في أطوار الحب الإلهي حتى بلغ في ذلك مبلغا بعيدا، وعرف من دقائق الحب وحقائقه ورفائقه أشياء كثيرة، لم يجد خيرا من هذه الأساليب الرائعة التي يعبر بها عن حبه، وأطواره، ويتخذ من هذا الأسلوب أو التعبير سبيلا إلى إبراز ما كمن في أعماق

قلبه من أطوار حبه، الأمر الذى جعله ينظر إلى ذاته على أنه رائد الأسلوبين، وإمام العارفين، إذ قصر ديوانه على التعبير عن حبه الإلهى، وتصوير أهواله وأشواقه وأذواقه فى طريق هذا الحب الإلهى، وما انتهى إليه من فتوحات إلهية، وإلهامات روحية، وذلك فى أساليب رمزية قوامها الألفاظ الغزلية والخمرية، وهو إنما يفعل هنا ما فعله الشاعر العربى المصرى ابن الفارض وغيره من إيثار أساليب الإشارة على العبارة، والتلويح على التصريح، كما فعل ذلك أيضا كل من الشعارين الأفغانيين الصوفيين جلال الدين البلخى (الرومى) فى بعض مقطوعاته الشعرية، من المثوية وغيرها، والسنائى الغزنوى فى بعض أشعاره فى "حديقة الحقيقة" وغيرها، علما بأن لغة هذين الشعارين الأفغانيين تختلف عن لغة الشاعر عبد الرحمن موضوع البحث.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الصوفية وأهل الزهد الإسلامى هم أول من قال بأدب اللاوعى، فقد أثر عن الكثيرين منهم نظم الشعر فى حالات الوجد الصوفى، وفى حالات الفناء عن الذات التى كانوا يخرجون فيها عن العقل الواعى. ومما هو جدير بالذكر أيضا أن الصوفية بقولهم الوحى والكشف قد فتحوا السبيل أمام ألوان جديدة من التفكير فى طبيعة الأدب والفن، بعد أن ظلت فكرة المحاكاة التى قال بها أرسطو مهيمنة على مفاهيم النقد الأدبى قرونا عديدة. وقد سبق الصوفية بذلك فرانسيس بيكون الذى صنف المعرفة البشرية على أساس ملكات إنسانية ثلاث، هى العقل والذاكرة والخيال، وجعل الخيال مصدر الشعر، فكان ذلك خروجاً على مذهب المحاكاة الأرسطى فى النقد الأدبى، وسبقاً على فرانسيس بيكون فى تقسيم المعرفة البشرية.

وقد يكون من الطريف أن نذكر هنا مثالا لشعر الوجد الصوفى عند عبد الرحمن، وهو الذى يمكن أن يعد من شعر اللاوعى فى الأدب الصوفى الإسلامى. قال فى الخمر والسكر والشفائف:

إننى سكران من "شدة نشوة" شراب شفائفك العذبة  
لن يوجد "فى العالم" سكران ونشوان آخر مثلى  
من أجل حبك المفرط - يا حبيبى - أمد يدي إلى الوردة  
كالغريق الذى يمد يده حتى إلى النبات على أمل النجاة  
هل هذا الذى أراه احمرار وجهك الجميل وبياضه الهادى  
أم مطر الدم المزوج بالماء يتساقط دائما على وجهى ؟  
ما هو الأثر الذى يمكن أن تتركه فىك دموعى الساخنة؟  
إن النار المشتعلة تزداد اشتعالا وقوة بدموع الكباب !  
على العشاق والمحبين أن يفتحوا أعينهم فى أمور العشق  
لأنه ليس هذا وقت للنوم، بل إنه مقام لانحدار الدموع  
إن السبب الحقيقى فى عدم تمكن أحد من رؤية الملاك  
هو أنه يلف وجهه فى الحجاب حياء من جمال وجهك  
عند ما يطلع النهار ويقبل مضيئا فيخجل منه القمر  
ومن هنا نراه يعيش دائما فى ظلام الليالى المظلمة  
خذ الحجاب وقم بتسويد وجوه هؤلاء الناس جميعا  
الذين يمدحون جمال الشمس فى عهد جمال وجهك

لست أنا الوحيد الذى يلقبك بالمحجوب أيها المحجوب  
إن الله هو الذى منحك بهذا النوع من الخطاب العظيم  
إن خط الرسم والوشم على صفحة وجهك الجميل  
كعلامات الإعراب فى صحائف القرآن الكريم  
ليس فى مقدور عبد الرحمن أن يعد مزايا حسنك الرائع  
لأنه حسن بلا حدود، لاتعد مزاياه الكثيرة ولا تحصى!

فهو فى هذا الغزل يتحدث عن الجمال الإلهى وحسنه البهى على أنه جوهر  
السكر والنشوة، وأن كل ما سوا ذلك عرض زائل فان ليس بياق دائما، ولكن  
اصطنع لذلك ألفاظا وعبارات وتعبيرات جعلته كأنه من قبيل الشعر الغزلى العذرى  
الإنسانى، إلا أننا إذا تأملناه وتدبرناه فى ضوء ما يقوله الصوفية وأهل الزهد  
الإسلامى من تفضيلهم الأسلوب الرمزى على أسلوب التصريح استطعنا أن نفهم  
الألفاظ والعبارات والتعبيرات الغزلية الحسية، أو الخمرية الواردة فى هذا الغزل  
على أنه من قبيل شعر اللاوعى الصوفى، أنشدته ناظمه عبد الرحمن وهو فى حالة  
الوجد الصوفى، فى حالة الفناء عن الذات التى كان يخرج فيها عن العقل الواعى.  
فهذه الألفاظ والعبارات كلها إنما هى من قبيل الرموز أو التلويحات التى قالها  
الشاعر وهو فى حالة اللاوعى.

### ثامنا - مقدرة الشاعر العجيبة:

للشاعر الوجدانى عبد الرحمن بابا مقدرة عجيبة على أن يتناول فى شعره  
الموضوعات المطروقة فيجعل منها موضوعات حية كأنها موضوعات شعرية

جديدة يعرضها على القارىء أو السامع لأول مرة، فكأن القارىء يقرأها أو يسمعها لأول مرة في حياته. لقد كان ينظم الشعر حول موضوعات مطروقة قديمة، فدخلها بمقدرته الفنية العجيبة ضمن نطاق إبداعه العجيب. والأمثلة لذلك كثيرة متوفرة، فعندما تقرأ ديوانه كأنك تقرأ كلاما منظوما صادر عن شاعر أفغانى عذرى، أحب فتاة من الفتيات الفاتنات، وملك عليه جمالها حسه وقلبه وعقله، فإذا هو يصور جمالها، ويعبر عن حبه وورده لها، وافتنانه بجمالها، وحنينه إلى لقاءها، وأنيته من فراقها وبعدها، ولوعته من صدها، وسعادته بقربها، وبهجته لوصلها ولقائها، فيصطنع الألفاظ والعبارات والتعابير الدالة على ذلك، فإذا هو يرسلها لآلىء منظومة يتألف منها عقد قصة حب بدأ فى قلب صاحبه وفواده إنسانيا كما يبدأ كل حب فى كل قلب من القلوب، ثم ما لبث هذا الحب أن تطور فإذا هو حب إلهى عظيم، وإذا هو هذا الحب الإلهى العظيم ينتهى بصاحبه إلى أسرار إلهية صادقة صافية، وإلى أنوار قدسية مشرقة، فإذا هو الشاعر يعبر عن هذه الموضوعات المطروقة مرارا وتكرارا، ويصورها كأنها موضوعات جديدة يقرأها القارىء أو يسمعها لأول مرة، منظومة فى قطعة شعرية.

وترجع أهمية عبد الرحمن العجيبة إلى أنه قد خرج بمقدرته العجيبة بالغزل الأفغانى عن موضوعه التقليدى، فتناول فى غزلياته أغراضا متنوعة، فكان يشارك فى علاج أدواء عصره، فيحذر من النفاق والرياء، ويشير إلى ضياع الأخلاق وفساد الضمائر والذمم، كما استطاع أن يمزج فى شعره بين الغزل البشرى والغزل الصوفى بحيث استحدث نوعا من الغزل يمكن تفسيره على المعنيين، ومن هنا قد ذهب بعض شراح ديوانه إلى القول بأن غزلياته لا تجب أن تؤخذ على معانيها الظاهرية، إذ هذه المعانى غطاء أو رمز تستتر دونه معان عميقة أخرى أبعد منالا،

وأقوى حجة، وأشرف غرضاً، وأروع مقصداً، وأعمق غوراً، فهو في هذا المجال كالسنائي الغزنوي، وجلال الدين البلخي (الرومي) والحافظ الشيرازي، وابن الفارض العربي المصري وغيرهم من شعراء الصوفية الكبار.

لقد أشرق القمر من الأعلى والشمس من الأسفل  
إنه وجه المعشوق يوجد مشرقاً في الأعلى والأسفل  
إن الشمس والقمر كلاهما يتقلبان فوق سريري  
وذلك لأجل أن يضع حبيبي رأسه على الوسادة

### تاسعا - موسيقى الشعر:

كان عبد الرحمن بابا يطرب للموسيقى، ويجيد العزف على بعض الآلات الموسيقية، كما يقول ذلك الأستاذ حبيب الله رفيع في مقدمة ديوان عبد الرحمن ١٨ - ٢٤، طبعة كابل سنة ١٣٥٦هـ / ش / ١٩٧٧م، ومولانا عبد القادر في مقدمة ديوان عبد الرحمن ٢٦، الطبعة الثانية، بشاور ١٩٨٧م، كما يؤيد ذلك كل من البروفيسور عبد المجيد الأفغاني، والأستاذ محمد جعفر الأسكزي، والشاعر الشعبي عجب خان. فقد عكف عبد الرحمن - كما يقولون - على الموسيقى والسماع، واقتن الشعر عنده بالموسيقى ونغماتها العذبة، فكثيراً ما نظمه وأنشده في مجلس السماع والطرب، وكثيراً ما سمعه مقترناً بالإنشاد والتزيتل والتبتل والنغم، وقد تجلّى أثر هذا الإحساس الموسيقي في شعره، فقد استطاع أن ينظم غزليات الديوان على أوزان عديدة، عربية وأفغانية، وهو في نظر الأستاذ عبد الحى حبيبي أحد الشعراء الأفغان العرويين المشهورين في عصره، ومثل هذا التوسع

فى الأوزان، والتنوع فى الأنغام يشهد له بالمهارة والخبرة الفائقة فى فن العروض العربى والأفغانى.

وقد استطاع عبد الرحمن أن يجعل مقطوعاته الشعرية بهذه الأوزان العروضية العربية والأفغانية جميلة الوقع، سائغة الأنغام، كما استطاع أن يوفر الموسيقى المناسبة لشعره بوسائل عديدة ومتنوعة، ونراه فى ديوانه أحيانا يحتتم الأبيات الشعرية بمقاطع صوتية لامعنى لها، ولكنها ذات تأثير موسيقى فى المشاعر والأحاسيس والعواطف، وذات وقع جميل فى الأسماع والقلوب. ولعل أدل ما يدل على ذلك هو أن عبد الرحمن إنما كان شاعرا صوفيا وزاهدا تقيا قضى حياته الروحية فى رياض القلب وجناته مرتلا أناشيد الحب، ومتبتلا إلى من أحب، فإذا بهذا الذى رتل أنشود الحب وتبتل بها متضرعا قد فاق كل العشاق والمحبين، وترددت أناشيد وجدده وذوقه فى كل الأودية والآفاق فى الأرض الأفغانية، ورددها كل من له قلب من أصحاب الأذواق فى الأوزان والأنغام، واتخذوا ما اصطنعه الشاعر العاشق عبد الرحمن فى أوزان الشعر وسيلة للتجديد فى موسيقى الشعر الأفغانى فى عصره.

والدليل على أنه كان يجيد العزف على بعض الآلات الموسيقية فى نظر هؤلاء العلماء الأفاضل، إشارات وتلميحات وتصريحات وردت فى أشعاره تشير إلى إجادته الفن الموسيقى، وذلك بالإضافة إلى هذه المقطوعة الشعرية الصريحة التى أنشدها الشاعر ووردت فى ديوانه:

## أمنية الرقص

أيها الساقى ناولنى وأعطنى كأسا للرقص  
أتمنى من أعماق القلب والفؤاد دائما أن أرقص  
فقال الساقى: ساعة الفرح ستحل عليك الآن  
فقد أعطاني المغنى رسالة بالأمر للرقص  
إن أستاذى الماهر هو الذى علمنى فنون الرقص  
وشرح لى كل وتر من أوتار مقامات الرقص  
يدو ويظهر رأسه فوق السماء التاسعة عاليا  
كل من تم تعليمه وإرشاده بإعلام الرقص  
كل من تتجلى له جلوة من أنوار المحبوب  
لايحب عليه أبدا ولايلزم أن يتغذى بغذاء الرقص  
كل فرد من أفراد بنى البشر لايليق بالرقص  
بل اللائق لذلك هو الذى يتم عليه إنعام الرقص  
إلى حين وجود الروح فى الجسم يا عبد الرحمن  
لن يتمكن أحد من إكمال وإتمام الحقيقة للرقص

قدم الأستاذ حبيب الله رفيع وذكر هذه المقطوعة الشعرية دليلا على أن  
الشاعر عبد الرحمن كان يجيد العزف على الآلات الموسيقية، ولكننا عندما نتمعن  
النظر فى المصطلحات الصوفية ندرك أن هذه الأبيات الشعرية وما يتزدد فيها من  
مصطلح الرقص الصوفى وغيره من المصطلحات الصوفية إنما هى من قبيل الرموز  
والتلويحات التى اصطنعها الشاعر الصوفى ليعبر بها عن ذوقه الصوفى، ووجدته

القلبي. والرقص كما هو معروف عند السادة الصوفية يرمز إلى حركة السالك أو الصوفي الناشيء وسيره في طريق التصوف.

## عاشرا - السخرية والتهكم:

نجح الشاعر الصوفي عبد الرحمن بابا إلى حد بعيد في استخدام السخرية والتهكم لتحقيق أهدافه الإصلاحية أو الفنية أو التعليمية أو الصوفية أو الفلسفية، والسخرية اللاذعة لا تقل تأثيرا عن أسلوب القوة والإنذار الصريح، والتهكم الشعري لا يقل إثارة عن إثارة التحكم الواضح الصريح. وقد عرف الشاعر عبد الرحمن كشاعر من كبار الشعراء الأفغان، ورائدا من رواد الشعر التعليمي والخلقي، كما عرف كصوفي ينظم الغزل الصوفي، وكان الشعر التعليمي مجالا رحبا تجلت فيه عبقريته ومقدرته في استخدام أساليب السخرية وأنماط التهكم، لقد استعان في هذا المجال بثقافته الواسعة، وفهمه العميق لمعارف أهل زمانه. وأسلوبه في السخرية والتهكم لا يخرج عن الإطار الإسلامي، والخلق الأفغاني، وهذا النوع من شعره يكشف أيضا عن خبرته بالنفس البشرية، ومقدرته على سير أغوارها، وتصوير نوازعها الخيرة والشريرة، الطيبة والخبيثة على السواء. ولنتظر مثلا إلى حديثه عن الملق والتظاهر والرياء، وأثر ذلك في الناس، قال:

في الظاهر تقول ذاكرا بلسانك مكة والمدينة  
وتنكب ملقيا بكامل جسمك على ما حرمه الله  
تقوم يوميا بالمراقبة معلقا برأسك كالبرعومة  
ومتاع قلبك في السر والخفاء منقوش بالألوان

تطلب بإلحاح شديد قباء من الحرير فلا تعثر عليه  
فلبست رغما عنك عباءة الدراويش من الصوف  
هل عبادتك لله أكثر من المعاصي أم المعاصي؟  
انظر فى المرأة لترى ذلك فى نفسك بأقل تقدير  
معروف أن الله قد حرم الحقد والعداوة والقتال  
ولكنه لم يجرم الحقد والعداوة مع النفس والشيطان  
إن امرأة طاهرة متقية صالحة زاهدة عابدة  
خير وأفضل من الفساق الفجرة من الرجال  
مهمة الشجعان من الفتيان مقاومة النفس  
لا القيام بأعمال التزيين والتجمل بالخلية كالنساء  
وليكن مائة رجل فاسق ممن لا دين لهم ولا خلق  
فداء فردة حذاء امرأة عفيفة من ذوات الدين  
أصحاب الأعمال الحسنة أفضل وإن كانوا صغارا  
من الرجال ذوى الأعمال السيئة وإن كانوا كبارا  
العاشق المعمر ابن مائة سنة، فى نظر عبد الرحمن  
طفل رضيع صغير كأنه قد ولد ليلة البارحة

هذا مثال واحد من مئات الأمثلة التى عالج فيه الشاعر أمراض المجتمع  
الإنسانى على هذا النحو البارع. وخلاصة الكلام أن عبد الرحمن لم يكن مصلحا  
وفيلسوبا ساخرا فحسب، وإنما كان كذلك حكيما عمليا، لقد تقبل الحياة  
وتفاعل معها، واستخدم السخرية ضد كل من خالف سنن الحياة.

## المعاني الإنسانية في شعره:

### عيشة الزهد والتقشف:

التدين والزهد والتقشف أحد أسباب سعادة الشاعر عبد الرحمن بابا في حياته الروحية، وهو ينظر إليها على أنها من صميم الدين والعقيدة الإسلامية فلا يجوز التظاهر والرياء فيه وفي الأعمال الصالحة الأخرى، وقد تكرر هذا المعنى في ديوان شعره مرارا، من ذلك هذا البيت من شعره:

ما ألبس الله أحدا من الناس لباس الرياء والتظاهر  
إن عبد الرحمن قد ربط عمامة عوجاء تبخترًا وهو درويش<sup>(١)</sup>

### القناعة كنز:

القناعة في نظر شاعرنا عبد الرحمن كنز لا يفنى، ويدعو الله أن يرزقه القناعة لأن حقيقة الحياة في نظره هي القناعة والبساطة، وقد صور ذلك في هذا البيت من شعره:

رباه، امنح عبد الرحمن كنز القناعة  
ليكون غنيا ثريا بلا ملك وحشم<sup>(٢)</sup>

---

(١) د رحمان بابا ديوان ١٩١، طبعة پشتو تولنه، كابل ١٩٧٧م

(٢) المرجع السابق ٢٦٢

## العزيمة والتوكل:

الاعتماد على الله، والثقة فيه، والتوكل عليه فى الأمور العظيمة أحد المعانى التى صاغها عبد الرحمن فى روائع من شعره فى مواضع عديدة من ديوانه الشعرى منها هذا البيت الذى يصور فيه هذا المبدأ فى صرخة من ندائه إلى ربه:

رباه، لا تجعلهم من البائسين، أولئك الأشخاص  
المؤمنين الذين اعتمدوا فى تحقيق آمالهم على كرمك<sup>(١)</sup>

## الاحتياج:

الحاجة والاحتياج ظاهرة اجتماعية فى المجتمعات الإنسانية لا يحس بها إلا المحتاجون وتحول أحياناً إلى مشكلة تؤدى إلى الخصام بين الأفراد. يدعو عبد الرحمن ربه بألا يحتاج أحد إلى أحد فى قضاء حاجة أو أمر من الأمور، ويسكب هذا المعنى فى قالب لفظى جميل، ويقول:

أتوسل إلى ذلك الرب الجليل المنزه بعظمته  
بألا تتوقف حاجة أحد عند أحد من الأشخاص<sup>(٢)</sup>

---

(١) المرجع السابق ٢١٩

(٢) المرجع السابق ٥٠

## حماية الأهل:

لا ينسى عبد الرحمن أهل قريته وعشيرته، ويتمنى أن يحفظهما الله في أمان من الشدائد، وأن تكون في حمايته ورعايته وتحت عنايته الكريمة، وقد عبر عن هذا المعنى، وألبسه ثوب الدعاء:

حفظك الله وحماك من كل اضطراب وحزن

يا عمران أهل بيتي وقريتي وعشيرتي<sup>(١)</sup>

## الذرية الصالحة:

الذرية قرة أعين إن كانت صالحة سالكة سبيل المتقين، وقلب الأبوين مفلور على محبة الذرية، ومتأصل بالمشاعر النفسية والعواطف الأبوية لحماية الأولاد والرحمة بهم، والشفقة عليهم، والاهتمام بأمورهم، حيث إنهم أفلاذ الأكباد، وثمرات الفؤاد، إلا أن مصلحة الإسلام والعقيدة فوق كل المصالح والاعتبارات. لذلك نرى شاعرنا عبد الرحمن ينادى ربه ويدعوه بألا يرزق أما ولدا سيئا لا يتمتع بالخلق الإسلامى ولا يتحلى به، وقد صور هذا المبدأ فى هذا البيت من شعره:

لم يلد مولود سىء العمل والخلق من أمه

حيث يسىء إلى سمعة الوالدين وذكرهما<sup>(٢)</sup>

---

(١) المرجع السابق ٢٧١

(٢) المرجع السابق ٦٦

## الزهد والرهباتية:

شاعرنا عبد الرحمن الشهير بأب الأفغان كان زاهداً، وهو يحمل فى زهده معنى التعاون والبذل والإيثار، ولم يكن من صائدى الدنيا باسم الدين، وزهده لا يعنى أبداً الانقطاع عن العمل والجهد، بل ترفعا عن حطام الدنيا وغرورها الزائف، وهو يدعو بقوة إلى الاستفادة من دروس الحياة العملية، عملاً بمبدأ لا رهباتية فى الإسلام. وهو ينظر إلى هذه الدنيا على أنها زاد المسافر فى رحلته إلى عالم الغيب، اسمعه حيث يقول:

جميلة جميلة هذه الدنيا  
فى أنها زاد العقبي والآخرة<sup>(١)</sup>

## البراءة من القومية:

وفى سبيل الدين والعشق الإلهى يتنازل عن القومية التى ينتمى إليها ويتبرأ منها إذا كانت تعارض العواطف والمشاعر الإسلامية، والالتقاء القومى عند الأفغان مبدأ من المبادئ الاجتماعية التى يتمسكون بها، ومن الصعب التنازل عنها. وهذا الضرب من شعره كثير، ومنه ما لا يجاريه فيه إلا القليلون، اسمعه وهو يقول:

إننى عاشق، شغلى الشاغل مع العشق الإلهى وحده  
لست من بنى خليل، ولا من الداودية ولا من قبيلة مهمند<sup>(٢)</sup>

(١) المرجع السابق ٥، طبعة پشتو تولنه، كابل ١٩٧٧م

(٢) المرجع السابق ٤٩، وبستانه شعراء ١: ١٩٦

فأنت فى كل ذلك وفى غيره من شعره أمام منبر واعظ إسلامى وقور  
يرشدك إلى العمل فى سبيل الخير كما تدعو إليه تعاليم الدين الإسلامى، ولكن فى  
وعظه شاعرية جليلة عظيمة، ولحن شجى يسهل عليك مشقة الإصغاء إلى الواعظ  
ومواعظه، وفى نبرات شاعريته الحانية ما يجذبك ويجذبك إليه جذبا. فتصغى إليه  
مسرورا، وتشعر منه بنشوة خفية تملأ قلبك، وتحرك عواطفك نحو ما يدعو إليه.

### الحالة السياسية فى أيامه وأثرها فى شعره:

عاش عبد الرحمن بن عبد الستار الشهير برحمان بابا فى العصر الذى لم  
تمنح فيه ثورة كل من بايزيد أنصارى، والزعيم خوش حال عن نتائج سياسية  
ملموسة فى طرد الأجانب من الأرض الأفغانية، وفى قيام نظام سياسى خاص  
يتمتع بالاستقلالية والحرية، الأمر الذى جعله يتجه اتجاهها انزوائيا على طريقة  
الفلاسفة المتقشفين، والزهاد المنعزلين، ومن هناك بدأ دعوته الإصلاحية والخلقية  
كشاعر حكيم يدعو إلى الفضيلة والتآلف والتوَادد والتحابى، وإلى الاتحاد والوحدة  
وصولاً إلى الغايات النبيلة بالتخلص من التسلط الأجنبى، والقضاء على مختلف  
ألوان الظلم والاستبداد والجيروت التى جعلت بشاور موطنه ضيقة عليه كالقبر  
الضيق الذى يتعذب فيه الإنسان بعذاب النار. وقد وفقه الله فى هذا الاتجاه إلى  
حد بعيد. وهو كمفكر مسلم لم يكن فى وسعه أن يقاوم الظلم والتسلط  
والجيروت عن طريق الثورة كما فعل الزعيمان الثائران بايزيد أنصارى وخوش  
حال خان، فقاومه بشورته الفكرية:

وليكن الأشراف والنبلاء من أمثال اورنك زيب وشاه جهان  
نذرا وفداء لل دراويش الزهاد من أمثال منصور النذاف

وفى مجال السياسة فى أيام عبد الرحمن كان التنافس السياسى بين العناصر العرقية المختلفة ملتها، وبالأخص بين بنى الأفغان والمغول والسيخ.. كان المغول يتصرفون فى شئون الديار الأفغانية، وفى مصادرها المالية والاقتصادية، وفى آدابها الحضارية وفقاً لأغراضهم وأهدافهم السياسية، والإقليمية. وكان السيخ يحاولون الاستفادة من الصراع الذى كان يدور بين الأفغان والمغول، واستثمار ذلك لمصلحتهم القومية.

أما الروح الأفغانية الأصيلة فكانت تتمثل فى عظمة الأفغان الإسلامية الماضية، وفى آمالهم فى استرجاعها، ولم تلبث أن تجسدت بروح الثورة الأفغانية يقودها كل من الإمبراطور شير شاه سورى (الغورى) فى داخل الهند، والزعيم الشاعر خوش حال خان فى پشاور، وزعماء القبائل السدوزية والباركزية فى كندهار، واليوسفزية فى پشاور، وكان أبرزهم وأقواهم الإمبراطور أحمد شاه الدرانى بطل معركة "پانى پت" الشهيرة.

وقد زادت الأوضاع السياسية سوءاً واضطراباً بعد أن أعلن الزعيم الشاعر خوش حال خان الحرب ضد المغول الذين أعلنوا عداوتهم للسافة للأفغان. وشاعرنا عبد الرحمن قد عاش أكثر أيام عمره فى عهد أورنك زيب، حيث ولد فى عهد شاه جهان المغولى، وعاصر أورنك زيب، وقضى سنوات من عمره الأخيرة فى عهد الأمير معظم بن أورنك زيب الذى تربع على العرش سنة ١١١٨هـ (١٧٠٦م).

فهل أثر فيه كل ذلك؟ يبدو أن ذلك التأثير كان قليلا، لا يصل في مجموعه إلى ما وصل إليه ذلك التأثير في شعر خوش حال خان، ومن هذا التأثير القليل هذا البيت من شعره:

بسبب الحكام الظالمين وحكمهم الظالم  
صارت الثلاثة.. القبر والنار وبشاور شيئا واحدا<sup>(١)</sup>

ومن ذلك التأثير القليل هذا البيت أيضا:

من المستحيل أن يعيش الإقطاعيون والدرائش في قرية واحدة  
أين مقام عزيز خان "الإقطاعي" من مقام الدرؤيش عبد الرحمن<sup>(٢)</sup>

كان العصر الذي عاش فيه عبد الرحمن عصر الإقطاع، والنظام الطبقي.. طبقة الحكام والإقطاعيين، وطبقة الفقراء والعمال المعدمين، ويبدو من بيت الشعر الذي مرت ترجمته أننا أنه مال إلى الطبقة الثانية المظلومة التي لم تكن ذات قيمة اجتماعية، بل كانت تستثمر لمصلحة الطبقة الأولى الحاكمة.

ومع ذلك أي ميله إلى طبقة الفقراء كان لحياته في هذا المجتمع الطبقي تأثير في شاعريته، ومسلكه الشعري، وهو يستغرب كيف يجوز للأجير وصانع الأحذية والجزار والدهقان (الفلاح) الادعاء على أنهم من الأصول الأفغانية النجبية..

---

(١) د رحمان بابا ديوان ٢٠٢، طبعة پشتو تولنه، كابل ١٩٧٧م

(٢) د رحمان بابا ديوان ١١٦، طبعة پشتو تولنه، كابل ١٩٧٧م

يتحول الجار والدهقان (الفلاح الأجير) فيه، إلى الأفغان وهو في الأصل إما أن يكون إسكافيا أو جزارا<sup>(١)</sup>

## تصوفه وأثره في شعره:

في شعر عبد الرحمن بابا كثير من المعاني والمفاهيم الإسلامية، وقد جاءت مصبوغة بالصبغة الصوفية، شأنه في ذلك شأن أكثر العشراء الأفغان في عصره، ومذهبه في التصوف يتميز أولا بالدقة والحیطة في التعبير والتصوير، ويتميز ثانيا بالقدرة النادرة على استخدام المفردات الأفغانية والعربية والفارسية لتصوير موضوعات التصوف، ومسائل الفلسفة المعقدة، اقرأ هذا البيت من شعره وهو يقول:

إن هذا الكون الضخم قد خلقه الله من العشق  
إن العشق أب لجميع المخلوقات في هذا الكون<sup>(٢)</sup>

قد ظهرت الصوفية في الآداب كمظهر من مظاهر التدين والورع الشديد، ولكنها انتهت في غلاتها بتعاليم بعيدة عن تعاليم السنة، وكان أول نشوئها كحركة زهدية مضادة لزف العصر، وكانت ترجع في أساسها إلى نظام الزهد الإسلامي في الإعراض عن زخرف الدنيا إلا أنها تجاوزت هذه الحدود فيما بعد.

---

(١) د رحمان بابا ديوان ٢٥٩، طبعة پشتو تولنه، كابل، و٣٧ من المقدمة، و١٠٩، طبعة پشاور، مقدمة سيد رسول رسا، و١٦٥، طبعة پشتو أكيدبى، پشاور، مقدمة مولانا عبد القادر.

(٢) د رحمان بابا ديوان ١٤، طبعة پشتو تولنه، كابل، وبشتانه شعراء ١: ١٩٥

وشاعرنا عبد الرحمن لم يكن من هؤلاء الغلاة، وقد استخدم التصوف والزهد سلاحاً نبيلاً للدعوة إلى الله، وإلى رسالة رسوله الكريم، كما استخدمه في مقاومة البغى والعدوان المادى. وتصوفه لا يعنى الانقطاع عن العمل والانزواء فى ركن معبد من المعابد، بل يعنى الدعوة إلى الترفع عن حطام الدنيا وغرورها..

إن حب الحبيب هو الذى جعلنى أفقد عقلى جرياً وراء الحبيب

فإذا كان هناك شخص يظن أن ذاك هو أنا، فليست أنا، إنه هو<sup>(١)</sup>

إن تراث الزهد والتصوف ثروة عظيمة فى الآداب الأفغانية، ومن يتأمل فى تاريخ الأفغان يتأكد له أن العقيدة الإسلامية والتصوف جزء منها وطلب أساسى فى حياتهم الأدبية والسياسية والاجتماعية، لم يتنازلوا عنه مهما كلفهم الأمر من الفداء والتضحية.

ولا ينبغى نسيان ما فى ديوانه من الغزل فى العشق الإلهى، ويبدو كما يقول البعض أنه متأثر فى ذلك بالشاعر الفارسى حافظ شيرازى.

وبالاختصار الشديد فإن الحب الصوفى فى تساميه نحو المطلق، وتوجهه إلى مقر علوى منزله يلوذ به، وعالم القلب والوجدان الذى لا يسافر ولا يجول فيه إلا أصحاب القلوب الغنية والوجدان، وقيمة الإنسان المسلم قضية كبيرة فى شاعرية عبد الرحمن وشعره الوجدانى، فالإنسان المسلم فى شعره قيمة لا تعلق عليها إلا قيمة جلال الخالق عز وجل، وقد أبدع عبد الرحمن فى عرض هذه القضية بلغة القلب، والعاطفة والوجدان، وحمل شعره الوجدانى لهب مشاعره وأحاسيسه ليوقد

(١) درحمان بابا ديوان ٢١٠، طبعة پشتو تولنه، كابل، وپشتانه شعراء ١: ١٩٦

فى صدور الآخرىن نار الحىوبة؁ و الإبداع؁ و يحثهم على بناء شخصية إسلامية متكاملة فى الكىان الإسلامى فى منازل الأفغان.

## اللغات:

كان يجىد أشهر اللغات الأدبية فى عصره؁ وهى:

- ١- اللغة الأفغانىة (الپشتونىة = الپختونىة) وبها أنشد دىوانه الذى يعبر توراة الأفغان وإنجىلهم.
- ٢- اللغة العربىة؁ وقد درس علومها بجانب العلوم الإسلامىة؁ ثم قام بتدريسها؁ ومن تلامىذه المشهورىن الشاعر محمد ىونس خان الذى رثاه عند وفاته.
- ٣- اللغة الفارسىة؁ وتأثر هذه اللغة واضح فى دىوانه حىث لا ىخلو بىت من أبىات شعره إلا وفىه كلمات فارسىة.
- ٤- اللغة الأردىة؁ وفى دىوانه مقطوعة شعرىة أنشدها بهذه اللغة من لغات الهند المشهورة.

